﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾

**شرح الكلمات :**

الطعام[1] : اسم لكل ما يطعم من أنواع المأكولات.

حِلّ : الحِل: الحلال، وسمي حلالاً لانحلال عقدة الحظر عنه.

بني إسرائيل : أولاد يعقوب الملقب بإسرائيل المنحدرون من أبنائه الأثني عشر إلى يومنا هذا.

حرّم : حظر ومنع.

التوراة : كتاب أنزل على موسى عليه السلام وهو من ذريّة إسرائيل.

فاتلوها : اقرأوها على رؤوس الملأ لنتبين صحة دعواكم من بطلانها.

افترى[2] الكذب : اختلقه وزوره وقاله.

ملة إبراهيم : دينه وهي عبادة الله تعالى بما شرع، ونبذ الشرك والبدع.

حنيفاً[3] : مائلا عن الشرك إلى التوحيد.

(١) الطعام (ال) للجنس ولفظ كلّ للتنصيص على العموم.

(٢) الافتراء كالاختلاق سواء والافتراء مأخوذ من الفري وهو قطع الجلد قطعاً ليصلح به قربة وحذاء ونحوهما.

(٣) حنيفاً: منصوب على الحال وصاحبها ابراهيم المجرور بالإضافة.

| | |
|---|---|
| بيكـــــة | : مكـــة . |
| للعالمـــين | : للناس أجمعين . |
| مقـام إبراهيم[1] | : آية من الآيات وهـو الحجـر الـذي قام عليه أثنـاء بناء البيت فارتسمت قدماه وهو صخر فكان هذا آية . |
| من دخـــلـه | : الحرم الذى حول البيت بحدوده المعروفة . |
| آمـــنـاً | : لا يخاف على نفس ولا مال ولا عرض . |
| الحـــج | : قصد البيت للطواف به وأداء بقية المناسك . |
| ســـبيلاً | : طريقاً والمراد القدرة على السير إلى البيت والقيام بالمناسك . |

## معنى الآيات :

مازال السياق في الحجاج مع أهل الكتاب فقد قال يهود للنبي ﷺ كيف تدعى أنك على دين إبراهيم ، وتأكل ما هو محرم فى دينه من لحوم الإبل وألبانها فرد الله تعالى على هذا الزعم الكـاذب بقوله : كل الطعام كان حِلاً أي حلالاً لبني إسرائيل وهم ذرية يعقوب الملقب بإسرائيل ، ولم يكن هنـاك شيء محرم عليهم في دين إبراهيم اللهم إلا ما حرم اسرئيل «يعقوب» على نفسه خاصة وهو لحوم الإبل وألبانها لنذر نذره وهو أنه مرض[2] مرضاً آلمه فنذر[3] لله تعالى إن شفاه تَرَكَ أحب الطعام والشراب إليه ، وكانت لحوم الإبل وألبانها من أحب الأطعمة والأشربة إليه فتركها لله تعالى ، هذا معنى قوله تعالى : ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه﴾ من قبل أن تنزل التوراة ، إذ التوراة نزلت على موسى بعد إبراهيم ويعقوب بقرون عدة ، فكيف تدعون أن إبراهيم كان لا يأكل لحوم الإبل ولايشرب ألبانها فأتوا بالتوراة فاقرؤوها فسوف تجدون أن ما حرم الله تعالى على اليهود إنما كان لظلمهم واعتـدائهم فحرم عليهم أنواعاً من الأطعمة ، وذلك بعد إبراهيم ويعقوب

---

(١) مقام ابراهيم : من جملة الآيات إذ أثر قدمي إبراهيم باقية على المقام الذي هو صخرة وفيه قال أبو طالب :

وموطىء ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

وأمر تعالى بالصلاة خلفه في قوله : ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ فمن طاف بالبيت يختم طوافه بصلاة ركعتين خلفه .

(٢) أكثر الروايات على أن مرض يعقوب كان بعرق النساء ، وأنّ ما نذره من ترك أحب الطعام والشراب إليه كان باجتهاد منه وليس شرعاً عنده إذ هو من المباح وللعبد أن يترك مباحاً متى شاء لاسيما إن تركه لله تقرّباً إليه وتوسلاً لقضاء حاجته كشفاء من مرض مثلا .

(٣) روى ابن ماجه في سننه أن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿شفاء عرق النساء إلية شاة (عربية) تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم يشرب على الرّيق في كل يوم جزء ، قال أنس فوصفته لأكثر من مائة فبرأ فإذن الله تعالى».

بقرون طويلة. قال تعالى في سورة النساء: ﴿فبظلم من الذين هادوا (اليهود) حرمنا عليهم طيبات أُحِلَّت لهم﴾ وقال في سورة الأنعام: ﴿وعلى الذين هادو حرمنا كل ذي ظفر[1]، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها﴾ الآية.

ولما طُولبوا بالإتيان بالتوراة وقراءتها بهتوا ولم يفعلوا فقامت الحجة لرسول الله ﷺ عليهم. وقوله تعالى: فمن افترى على الله الكذب بعد قيام الحجة بأن الله تعالى لم يحرم على إبراهيم ولا على بني إسرائيل شيئاً من الطعام والشراب إلا بعد نزول التوراة باستثناء ما حرم إسرائيل على نفسه من لحمان الإبل وألبانها، فأولئك هم الظالمون بكذبهم على الله تعالى وعلى الناس. ومن هنا أمر الله تعالى رسوله أن يقول: صدق الله فيما أخبر به رسوله ويخبره به وهو الحق من الله، إذا فاتبعوا يا معشر اليهود ملة إبراهيم الحنيف الذي لم يكن أبداً من المشركين.

هذا ما تضمنته الآيات الثلاث: ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ وأما قوله تعالى: ﴿إن أول بيت[2] وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾ فإنه متضمن الرّد[3] على اليهود الذين قالوا إن بيت المقدس هي أول قبلة شرع للناس استقبالها فَلِمَ يعدل محمد وأصحابه عنها إلى استقبال الكعبة؟ وهي متأخرة الوجود فأخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس هو الكعبة لا بيت المقدس وأنه جعله مباركاً يدوم بدوام الدنيا والبركة لا تفارقه فكل من يلتمسها بزيارته وحجه والطواف به يجدها ويحظى بها، كما جعله هدى للعالمين فالمؤمنون يأتون حجاجاً وعماراً فتحصل لهم بذلك أنواع من الهداية، والمصلون في مشارق الأرض ومغاربها يستقبلونه في صلاتهم، وفي ذلك من الهداية للحصول على الثواب وذكر الله والتقرب إليه أكبر هداية وقوله تعالى فيه آيات بينات يريد: في المسجد الحرام دلائل واضحات منها مقام إبراهيم وهو الحجر الذي كان يقوم عليه أثناء بناء البيت حيث بقي أثر قدميه عليه مع أنه صخرة من الصخور ومنها زمزم والحِجْر والصفا والمروة وسائر المشاعر كلها آيات ومنها الأمن التام لمن دخله فلا

---

(١) راجع تفسير هذه الآية في موضعها من سورة الأنعام.

(٢) أخرج مسلم في صحيحه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض قال: «المسجد الحرام قلت ثم أيّ قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال، أربعون عاما ثم جعلت الأرض لك مسجداً فحيثما أدركتك الصلاة فصل».

(٣) ذكر القرطبي عن مجاهد قوله تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنها مهاجر الأنبياء في الأرض المقدسة، وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿إنّ أول بيت وضع للناس﴾ الآية.

يخاف غير الله تعالى. قال تعالى: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾[1] ثم هذا الأمن له والعرب يعيشون في جاهلية جهلاء وفوضى لا حد لها، ولكن الله جعل في قلوبهم حرمة الحرم وقدسيته ووجوب أمن كل من يدخله ليحجه أو يعتمره، وقوله تعالى ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾[2]، لمّا ذكر تعالى البيت الحرام وما فيه من بركات وهدايات وآيات ألزم عباده المؤمنين به وبرسوله بحجه ليحصل لهم الخير والبركة والهداية، ففرضه بصيغة ولله على الناس وهي أبلغ صيغ الإيجاب، واستثنى العاجزين عن حجه واعتماره بسبب مرض أو خوف أو قلة نفقة للركوب والإنفاق على النفس والأهل أيام السفر.

وقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ فإنه خبر منه تعالى بأن من كفر بالله ورسوله وحج بيته بعد ما ذكر من الآيات والدلائل الواضحات فإنه لا يضر إلا نفسه أما الله تعالى فلا يضره شيء وكيف وهو القاهر فوق عباده والغنى عنهم أجمعين.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١- ثبوت النسخ في الشرائع الإلهية، إذ حرم الله تعالى على اليهود بعض ما كان حِلاً لهم.

٢- إبطال دعوى اليهود أن إبراهيم كان محرماً عليه لحوم الإبل وألبانها.

٣- تقرير النبوة المحمدية بتحدي اليهود وعجزهم عن دفع الحق الذي جاء به محمد ﷺ.

٤- البيت الحرام كان قبل بيت المقدس وأن البيت الحرام أول بيت وضع للتعبد بالطواف به.

٥- مشروعية طلب البركة بزيارة البيت وحجه والطواف به والتعبد حوله.

٦- وجوب الحج على الفور[3] لمن لم يكن له مانع يمنعه من ذلك.

٧- الإشارة إلى كفر من يترك الحج وهو قادر عليه، ولا مانع يمنعه منه غير[4] عدم المبالاة.

---

(١) صورة اللفظ خبر ومعناه الإنشاء أي الأمر بمعنى: فمن دخله فأمنوه هكذا قال بعضهم. ولا منافاة بين القولين فإن الحرم كان آمنا في عهد الجاهلية قرونا بما ألقى الله في قلوب العرب من حرمة الحرم، إنّ بيت المقدس تسلط عليه الجبابرة فخرّبوه غير مرّة ومكة ردّ الله الطغاة عنها.

(٢) تواردت طرق حديث أن النبي ﷺ سئل عن السبيل في قوله تعالى: ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ فقال: «الزاد والراحلة» وهو كذلك.

(٣) مما يدل على فورية الحج إذا توفرت النفقة وأمن الطريق وزالت الموانع قوله ﷺ «تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له» رواه أحمد، فما دمنا مأمورين بالتعجل كان الفور ألزم والتراخي أبعد، والله أعلم وأعزّ وأحكم.

(٤) الإجماع على أنّ الحج مرّة واحدة في العمر لقوله ﷺ: «لا، ولو قلت نعم لوجبت» إذ سأل سائل قائلاً: أفي كل عام يارسول الله. وذلك لمّا نزلت: ﴿ولله على الناس حج البيت...﴾ ومما يؤكد فرضيته وهي مؤكدة بخطاب الله تعالى: أن عمر رضي الله عنه قال: مَنْ أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانيا. قال ابن كثير اسناده صحيح.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

## شرح الكلمات :

**الكفر** : الجحود.

**آيات الله** : ما أنزل تعالى من الحجج والبينات في القرآن المقررة لنبوّة محمد ﷺ وما أنزله تعالى في التوراة والإنجيل من صفات النبي ﷺ ونعوته الموجبة للإيمان به واتباعه على دين الحق الذي جاء به وهو الإسلام.

**شهيد على ما تعملون**[1] : عليم به مطلع عليه، وما يعملونه هو الكفر والشر والفساد.

**تصدون عن سبيل الله**[2] : تصرفون الناس ممن آمن منكم ومن العرب عن الإسلام الذي هو سبيل الله تعالى المفضي بأهله إلى سعادة الدارين.

**تبغونها عوجاً**[3] : تطلبون لها العِوج حتى تخرجوا بها عن الحق والهدى فيضل سالكها وذلك بالتحريف والتضليل.

**وأنتم شهداء** : بعلمكم بأن الإسلام حق، وأن ما تبغونه له من الإضلال لأهله والتضليل هو كفر وباطل.

## معنى الآيتين :

بعد أن دحض الله تعالى شبه أهل الكتاب وأبطلها في الآيات السابقة أمر تعالى رسوله

---

(١) هذا دال على أن أهل الكتاب يؤمنون بعموم علم الله وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلهذا كان توبيخهم أشدّ.
(٢) قرىء تصدون من صَدّ إذ يقال صدّه، وأصده عن كذا صرفه عنه.
(٣) أصلها تبغون لها فحذفت اللام نحو (كالوهم) أي كالوا لهم.

أن يقـول لهم موبخاً مسجلاً عليهم الكفر يا أهل الكتاب لم تكفرون بحجج الله تعالى وبراهينه المثبتة لنبوة نبيّه محمد ﷺ ودينه الإسلام تلك الحجج والبراهين التي جاء بها القرآن والتوراة والإنجيل معاً؟ والله جل جلاله مطلع على كفركم عليم به، أما تخافون عقابه أما تخشون عذابه؟.

كما أمر تعالى رسوله أيضاً أن يقول لهم مؤنباً موبخاً لهم على صرفهم المؤمنين عن الإسلام بأنواع الحيل والتضليل: يا أهل الكتاب[1] أي يا أهل العلم الأول لم تصرفون المؤمنين عن الإسلام الذي هو سبيل الله بما تثيرونه بينهم من الشكوك والأوهام تطلبون للإسلام العوج لينصرف المؤمنون عنه، مع علمكم التام بصحة الإسلام وصدق نبيّه محمد عليه الصلاة والسلام أما تخافون الله، أما تخشونه تعالى وهو مطلع على سوء تدبيركم غير غافل عن مكركم وغشكم وخداعكم.

## هدايـة الآيتين

**من هداية الآيتين :**

١ـ شدة قبح كفر وظلم من كان عالماً من أهل الكتاب بالحق ثم كفره وجحده بغياً وحسداً.

٢ـ حرمة صرف الناس عن الحق والمعروف بأنواع الحيل وضروب الكذب والخداع.

٣ـ علم الله تعالى بكل أعمال عباده من خير وشر وسيجزيهم بها فضلاً منه وعدلاً.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

---

(١) أخرج ابن اسحق في سبب نزول هذه الآية: ﴿يا أهل الكتاب...﴾ أن شماس بن قيس اليهودي رأى جماعة من المسلمين من الأوس والخزرج بادياً عليهم الوئام (المحبة) فغاظه ذلك فأمر أحد اليهود أن يجلس بينهم ويذكرهم بحرب بعاث وفَعَل فحدث نزاع بينهم أدى بهم إلى الخروج الى الحَرَّة للتقاتل وفعلا خرجوا وسمع بذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم وهدأهم بقوله: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم» وما زال يعظهم حتى ألقوا السلاح وتعانقوا وهم يبكون، وعرفوا أنها مكرة يهود وخدعتهم عليهم لعائن الله، وأنزل تعالى هذه الآية والتي قبلها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

## شرح الكلمات :

**فريقاً** : طائفة[1] من الحاقدين على الإسلام العاملين على الكيد له والمكر به وبأهله.

**يردوكم** : يرجعوكم إلى الكفر بعد إيمانكم.

**وكيف تكفرون** : الاستفهام للإنكار والتعجب من كفرهم بعد إيمانهم.

**آيات الله** : آيات القرآن الكريم.

**يعتصم** : يتمسك بشدة.

**حق تقاته** : باستفراغ الوسع في إمتثال أمره، واجتناب نهيه، وتقاته[2] هي تقواه.

**حبل الله** : كتابه القرآن ودينه الإسلام، لأن الكتاب والدين هما الصلة التي تربط المسلم بربه، وكل ما يربط ويشد شيئاً بآخر هو سبب وحبل.

**ألف بين قلوبكم** : جمعها على أخوة الإيمان ووحد بينها بعد الاختلاف والنفرة.

**شفا حفرة** : شفا الحفرة حافتها وطرفها بحيث لو غفل الواقف عليها وقع فيها.

---

(١) قالوا هم شاس اليهودي وأصحابه الذين أثاروا الفتنة بين الأوس والخزرج ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فطاعة أعداء الإسلام من اليهود والنصارى كانت وما زالت سبب دمار أمة الإسلام.

(٢) التقاة اسم مصدر اتقى يتقي اتقاءً وأصلها وقية فتحرك حرف العلّة فانفتح ما قبله فقلب واواً فصارة وقاة، وأبدلت الواو تاء فصارت تقاة.

أنقذكم منها : بهدايتكم إلى الإسلام وبذلك أنجاكم من النار.

## معنى الآيات :

بعد أن وبخ تعالى اليهود على خداعهم ومكرهم وتضليلهم للمؤمنين وتوعدهم على ذلك، نادى المؤمنين محذراً إياهم من الوقوع في شباك المضللين من اليهود فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ وذلك أن نفراً من الأوس والخزرج كانوا جالسين في مجلس يسودهم الود والتصافي ببركة الإسلام الذي هداهم الله تعالى إليه فمرّ بهم شاس بن قيس اليهودي فآلمه ذلك التصافي والتحابب وأحزنه بعد أن كان اليهود يعيشون في منجاة من الخوف من جيرانهم الأوس والخزرج لما كان بينهم من الدمار والخراب فأمر شاس شاباً أن يذكرهم بيوم بعاث فذكروه وتناشدوا الشعر فثارت الحميّة القبلية بينهم فتسابوا وتشاتموا حتى هموا بالقتال فأتاهم الرسول ﷺ وذكرهم بالله تعالى وبمقامه بينهم فهدأوا، وذهب الشر ونزلت هذه الآيات: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ فحذرهم من مكر أهل المكر من اليهود والنصارى، وأنكر عليهم ما حدث منهم حاملا لهم على التعجب من حالهم لو كفروا بعد إيمانهم فقال عز وجل: وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله صباح مساء في الصلوات وغيرها، وفيكم رسوله[1] هادياً ومبشراً ونذيراً وأرشدهم إلى الاعتصام بدين الله وبشر المعتصمين بالهداية إلى طريق السعادة والكمال فقال: ومن يعتصم بالله أي بكتابه وسنة نبيه فقد هدي إلى صراط مستقيم ثم كرر تعالى نداءه[2] لهم بعنوان الإيمان تذكيراً لهم به وأمرهم بأن يبذلوا وسعهم في تقوى الله عز وجل وذلك بطاعته كامل الطاعة بامتثال أمره واجتناب نهيه حاضاً لهم على الثبات على دين الله حتى يموتوا عليه فلا يبدلوا ولا يغيروا فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته[3] ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ وأمرهم بالتمسك بالإسلام عقيدة وشريعة ونهاهم عن التفرق والاختلاف وأرشدهم إلى ذكر نعمته تعالى عليهم بالألفة

---

(١) عصمة هذه الأمة من الذنوب والسقوط في هذين الأمرين: الكتاب والسنة فمهما تمسكت أمة الإسلام بهما فإنها لا تضل ولا تسقط ولو كادها أهل الأرض أجمعون ومهما أعرضت عنهما سقطت وهانت ولو دَعَمَها أهل الأرض أجمعون.

(٢) من مظاهر إكرام الله تعالى للمؤمنين أن ناداهم مباشرة بيا أيها الذين آمنوا بخلاف أهل الكتاب فإنه أمر رسوله أن يناديهم إشعاراً لهم بعدم رضاه عنهم وغضبه عليهم.

(٣) روى أن تقوى الله حق تقاته: تتمثل في أن يُطاع تعالى ولا يُعصى ويُشكر ولا يُكفر ويُذكر ولا يُنسى، وخصصتها آية التغابن ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ إذ لا تكليف مع العجز عن القيام به.

والمحبة التي كانت ثمرة هدايتهم للإيمان والإسلام، بعد أن كانوا أعداء متناحرين مختلفين فألّف بين قلوبهم فأصبحوا بها إخواناً متحابين متعاونين، كما كانوا قبل نعمة الهداية إلى الإيمان على شفا جهنم لو مات أحدهم يومئذ لوقع فيها خالداً أبداً، وكما أنعم عليهم وأنقذهم من النار ما زال يبين لهم الآيات الدالة على طريق الهداية الداعية إليه ليثبتهم على الهداية ويكملهم فيها فقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا[1] واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته[2] لعلكم تهتدون﴾.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات :**

١ـ طاعة كثير من علماء اليهود والنصارى بالأخذ بنصائحهم وتوجيهاتهم وما يشيرون به على المسلم تؤدي بالمسلم إلى الكفر شعر بذلك أم لم يشعر فلذا وجب الحذر كل الحذر منهم.

٢ـ العصمة في التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن تمسك بهما لم يضل.

٣ـ الأخذ بالإسلام جملة والتمسك به عقيدة وشريعة أمان من الزيغ والضلال وأخيراً من الهلاك والخسران.

٤ـ وجوب التمسك بشدة بالدين الإسلامي وحرمة[3] الفرقة والاختلاف فيه.

٥ـ وجوب ذكر النعم لأجل شكر الله تعالى عليها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

٦ـ القيام على الشرك والمعاصي وقوف على شفير جهنم فمن مات على ذلك وقع في جهنم حتماً بقضاء الله وحكمه.

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا

---

(١) في الآية حرمة التفرق في الدين ومنه التفرق في الحكم، فكلاهما محرّم لما يفضي بالمتفرقين إلى الهلاك والخسران. عَرَف هذا أعداء الإسلام فعملوا على تفرقة أمّة الإسلام، وفرقوها مذاهب وطوائف ثمّ دويلات وحكومات ثم أذلوها وأهانوها.

(٢) وهذه نعمة أخرى: مواصلة إنزال القرآن بالأحكام والشرائع والآداب والمواعظ والعبر ليتم لهم كمالهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة فلله الحمد والمنّة.

(٣) في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «إنّ الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا مَنْ ولاّه الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

**شرح الكلمات :**

**الأمة** : أفراد من البشر أو غيرهم تربطهم رابطة جنس أو لغة أو دين ويكون أمرهم واحداً والمراد بالأمة هنا المجاهدون وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**الخير** : الإسلام وكل ما ينفع الإنسان في حياته الأولى والآخرة من الإيمان والعمل الصالح .

**المعروف** : المعروف كل ما عرفه الشرع فأمر به لنفعه وصلاحه للفرد أو الجماعة .

**المنكر** : ضد المعروف، وهو ما نهى عنه الشرع لضرر وإفساد، للفرد أو الجماعة .

**الذين تفرقوا** : هم أهل الكتاب من اليهود[1] والنصارى .

**يوم تبيض وجوه[2]** : هذا يوم القيامة .

**ففي رحمة الله** : رحمة الله هنا : الجنّة جعلنا الله تعالى من أهلها، آمين .

---

(١) وقيل هم الحرورية وقيل المبتدعة من هذه الأمة وكونهم اليهود والنصارى هذا الراجح والحق وعليه جمهور المفسرين.
(٢) تبيض وجوه المؤمنين المتقين، وتسود وجوه الكافرين والمبتدعين من أصحاب الأهواء.

**تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق:** هذه آياتنا نقرأها عليك متلبسة بالحق، لا باطل فيها أبداً.

**وإلى الله ترجع الأمور** : إلى الله تصير الأمور فيقضي فيها بما يشاء ويحكم ما يريد فضلاً وعدلاً.

## معنى الآيـات :

بعـدما أمر الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين بتقواه والتمسك بدينه ونهاهم عن الفرقة والاختـلاف وحضهم على ذكر نعمه ليشكروها بطاعته أمرهم في هذه الآية (١٠٤) بأن يوجدوا من أنفسهم جماعة تدعو إلى الإسلام وذلك بعرضه على الأمم والشعوب ودعوتهم إلى الدخول فيه، كما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في ديار الإسلام وبين أهله فقال تعالى مخاطباً إياهم: ولتكن منكم[(١)] أي يجب أن تكون منكم طائفة يدعون إلى الخير أي الإسلام، ويأمـرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وبشرهم بأن الأمة التي تنهض بهذا الواجب هي الفائزة بسعادة الدنيا والآخرة فقال: فأولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة من العار والنار، وبدخول الجنة مع الأبرار.

وفي الآيات (١٠٥) (١٠٦) (١٠٧) نهاهم أن يسلكوا طريق أهل الكتاب في التفرق في السياسة والاختلاف في الدين فيهلكوا هلاكهم فقال تعالى: مخاطباً إياهم: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾ فلا ينبغي أن يكون العلم والمعرفة بشرائـع الله سبباً في الفـرقـة والخـلاف[(٢)]، وهما أداة الوحدة والائتلاف، وأعلمهم بجزاء المختلفين من أهل الكتاب ليعتبروا فلا يختلفوا ولا يتفرقوا فقال تعالى: وأولئك لهم عذاب عظيم لا يقادر قدره ولا يعرف مداه، وأخبرهم عن موعد حلول هذا العذاب العظيم بهم وأنه يوم القيامة حينما تبيض وجوه المؤمنين المؤتلفين القائمين على الكتاب والسنة، وتسود وجـوه الكافرين المختلفين القائمين على البدع والأهواء، فقال تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه[(٣)]

---

(١) مِنْ للتبعيض وعليه فسرنا الآية وقلنا بوجود طائفة لا كل الأمّة إذ لابد من العلم لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والعلم لا يتوفر لكل فرد أبداً ولذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية.

(٢) نهاهم تعالى عن التفرق والاختلاف وقد وقع ما نهاهم عنه وثبت ما أخبر به رسول الله ﷺ فقد قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح وفعلا فقد وجدت ست فرق وهي: الحرورية ـ والقدرية ـ والجهمية ـ والمرجئة ـ والرافضة ـ والجبرية. انقسمت كل فرقة من هذه إلى اثنتى عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ أهل السنة والجماعة.

(٣) روى ابن القاسم عن مالك في العتبية أنه قال ما آية في كتاب الله أشدّ على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية: ﴿يوم تبيّض وجود وتسود وجوه..﴾ قال مالك: انما هذه الآية لأهل القبلة بدليل قوله تعالى: ﴿أكفرتم بعد إيمانكم...﴾.

وتسود وجوه﴾ وبيّن جزاء الفريقين فقال: فأما الذين اسودت وجوههم من سوء ما عاينوه من أهوال الموقف وما أيقنوا أنهم صائرون إليه من عذاب النار فيقال لهم تقريعاً وتوبيخاً: أكفرتم بعد إيمانكم؟ إذ هذه وجوه من تلك حالهم، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بالله وشرائعه.

وأما الذين ابيضت وجوههم فلم يطل فى الهول موقفهم حتى يدخلوا جنة ربهم قال تعالى: ﴿ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾.

وفي الآية (١٠٨) شرف الله تعالى نبيّه محمداً ﷺ بخطابه والوحي إليه فقال: ﴿تلك آيات الله نتلوها[1] عليك بالحق﴾ أي هذه الآيات المتضمنة للهدى والخير نقرأها عليك بالحق الثابت الذي لا مرية فيه، ولا شك يعتريه فبلغها عنا وادع بها إلينا فمن استجاب لك نجا ومن أعرض هلك، وماالله يريد ظلمًا للعالمين. فلا يعذب إلا بعد الإعلام والإنذار.

وفي الآية الأخيرة (١٠٩) يخبر تعالى أنه له ملك السموات والأرض خلقاً وتصرفاً وتدبيراً، وأن مصير الأمور إليه وسيجزى المحسن بالحسنى والمسيء بالسُّوأى.

## هداية الآيـات

**من هدايـة الآيـات :**

١ـ وجوب وجود طائفة من أمة الإسلام تدعو الأمم والشعوب إلى الإسلام وتعرضه عليهم وتقاتلهم إن قاتلوها عليه، ووجوب وجود هيآت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مدن وقرى المسلمين.

٢ـ حرمة الفرقة بين المسلمين والاختلاف في دين الله.

٣ـ أهل البدع والأهواء يعرفون في عرصات القيامة باسوداد وجوههم.

٤ـ أهل السنة والجماعة[2] وهم الذين يعيشون عقيدة وعبادة على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه يعرفون يوم العرض بابيضاض وجوههم.

---

(١) التلاوة؛ كالقراءة إلا أن القراءة عادة تكون لكلام مكتوب وأما التلاوة فهي مجرد حكاية كلام لإرادة تبليغه بلفظه.

(٢) افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الملة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة في الجنة وقيل من هم يارسول الله فقال هم الذين يكونون على ما أنا عليه وأصحابي.

٥ـ كرامة الرسول على ربّه وتقرير نبوّته. وشرف من آمن به واتبع ما جاء به.

٦ـ مرد الأمور إلى الله تعالى في الدنيا والآخرة فيجب على عقلاء العباد أن يتخذوا لهم عند الله عهداً بالإيمان به وتوحيده في عبادته بتحقيق لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

## شرح الكلمات :

كنتم خير أمة : وُجدتم أفضل وأبرك أمة وجدت على الأرض.

أخرجت للناس : أظهرت وأبرزت لهداية الناس ونفعهم.

أذىً : الأذى الضرر اليسير.

يولوكم الأدبار : ينهزمون فيفرون من المعركة مولينكم أدبارهم أي ظهورهم.

ضربت عليهم الذلة : أحاطت بهم المذلة ولصقت بهم حتى لا تفارقهم.

وباءوا بغضب : رجعوا من رحلتهم الطويلة في الكفر وعمل الشر بغضب الله.

ذلك بأنهم.. الخ : ذلك: إشارة إلى ما لصق بهم من الذلة والمسكنة وما عادوا به من غضب الله تعالى وما تبعه من عذاب. (فالباء) في بأنهم

سببية أي بسبب فعلهم كذا وكذا والمسكنة هي ذلة الفاقة والفقر .

يعتـدون : الاعتداء مجاوزة الحد في الظلم والشر والفساد.

## معنى الآيات :

لما أمر الله تعالى المؤمنين بتقواه والاعتصام بحبله فامتثلوا وأمرهم بتكوين جماعة منهم يدعون إلى الإسلام ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فامتثلوا ذكرهم بخير عظيم فقال لهم: ﴿كنتم خير أمـة أخرجت للناس﴾ كما قال لهم رسول الله ﷺ: «كنتم خير الناس للناس. . » ووصفهم بما كانوا به خير أمة فقال تأمرون بالمعروف وهو الإسلام وشرائع الهدى التي جاء بها نبيّه ﷺ وتنهون عن المنكر وهو الكفر والشرك وكبائر الإثم والفواحش، وتؤمنون بالله. وبما يتضمنه الإيمان بالله من الإيمان بكل ما أمر تعالى بالإيمان به من الملائكة والكتب والرسل والبعث الآخر والقدر. ثم دعا تعالى أهل الكتاب الى الإيمان الصحيح المنجي من عذاب الله فقال عز وجل، ولو آمن أهل الكتاب بالنبي محمد وما جاء به من الإسلام لكان خيراً لهم من دعوى الإيمان الكـاذبـة التي يدعـونها. وأخبر تعالى عنهم بأن منهم المؤمنين الصادقين في إيمانهم كعبد الله بن سلام وأخيه، وثعلبة بن سعيد وأخيه، وأكثرهم الفاسقون الذين لم يعملوا بما جاء في كتابهم من العقائد والشرائع من ذلك أمر الله تعالى بالإيمان بالنبي الأميّ واتباعه على ما يجيء به من الاسلام ثم أخبر المسلمين أن فساق أهل الكتاب لن يضروهم إلا أذىً يسيراً كإسماعهم الباطل وقولهم الكذب. وأنهم لو قاتلوهم ينهزمون أمامهم مولينهم ظهورهم فارّين من القتال ثم لا ينصرون على المسلمين في أي قتال يقع بين الجانبين.

كما أخبر تعالى في الآية (١١٢) أنه تعالى ضرب عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا وفي أيّ البلاد وجدوا لن تفارقهم الذلة والمسكنة في حال من الأحوال إلا في حال دخولهم في الإسلام وهو حبلُ الله[١]، أو معاهدة وارتباط بدولة قوية وذلك هو حبلُ الناس[٢]. كما أخبر تعالى عنهم

---

(١) هذه الآية مخصصة لعموم آية الأعراف ﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ إلا في حال إسلامهم أو ارتباطهم بمعاهدة دولة قوية كما هي الحال اليوم.

(٢) الحبل مستعار هنا للعهد أي المعاهدة التي تربطهم بدولة قوية كبريطانيا وأمريكا الآن.

أنهم رجعوا من عنادهم وكفرهم بغضب من الله، وما يستتبعه من عذاب في الدنيا بحالة الفاقة والفقر المعبر عنها بالمسكنة، وفي الآخرة بعذاب جهنم كما ذكر تعالى علة عقوبتهم وأنها الكفر بآيات الله وقتل الأنبياء بغير حق وعصيانهم المستمر واعتداؤهم الذي لا ينقطع فقال تعالى ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١- إثبات خيرية أمة الإسلام وفي الحديث: «أنتم تتمون[1] سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله».

٢- بيان علة خيرية أمة الإسلام[2] وهي الإيمان بالله والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- وعد الله تعالى لأمة الإسلام - ما تمسكت به - بالنصر على اليهود في أي قتال يقع بينهم.

٤- صدق القرآن في إخباره عن اليهود بلزوم الذلة والمسكنة لهم أينما كانوا.

٥- بيان جرائم اليهود التي كانت سبباً في ذلتهم ومسكنتهم وهي الكفر المستمر، وقتل الأنبياء بغير حق والعصيان والاعتداء على حدود الشرع.

۞ لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ

(١) ومن هنا فعصر الصحابة أفضل ممن بعدهم وذلك لتحقق الصفات التي كانت بها الخيرية ويشهد لهذا الحديث الصحيح: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) فالخيرية العامة لهذه الأمة لا جدال فيها والخيرية الخاصة فهي تتوفر لأهل الصفات الثلاث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان التام في كل زمان ومكان.

(٢) يوضح هذا قول عمر في حجه وقد رأى في الناس دعة فقال بعد أن قرأ هذه الآية ﴿كنت خير أمة أخرجت للناس﴾. من سره أن يكون في هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها

فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

## شـرح الكلمـات :

| | |
|---|---|
| ليسوا سواء | : غير متساوين. |
| أمة قائـمة | : جماعة قائمة ثابتة على الإيمان والعمل الصالح. |
| يتلون آيات الله | : يقرأون القرآن. |
| آناء الليـل | : ساعات الليل جمع إني وَإِني. |
| وهـم يسـجدون | : يصلـــون |
| يسارعون في الخيرات | : يبتدرونها خشية الفوات. |
| فلن يكفـروه | : فلن يجحدوه بل يعترف لهم به ويجزون به وافياً. |

## معنى الآيـات :

بعد أن ذكر تعالى حال أهل الكتاب وأنهم فريقان مؤمن صالح، وكافر فاسد. ذكر هنا في هذه الآيات الثلاث: (١١٣، ١١٤، ١١٥) أن أهـل الكتاب ليسوا سواء[(١)] أي غير متساوين في الحال، وأثنى على أهل الصلاح منهم فقال جل ذكره ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة[(٢)]﴾ أي على الإيمان الحق والدين الصحيح وهم الذين أسلموا. يتلون آيات الله يقـرأونها في صلاتهم آنـاء الليل أي ساعات الليل في صلاة العشاء وقيام الليل وهم يسجدون وهذا ثناء عليهم بالسجود إذ هو أعظم مظاهر الخضوع لله تعالى كما أثنى تعالى عليهم بالإيمان الصـادق والأمـر بالمعروف وهو الدعوة إلى عبادة الله تعالى بعد الإيمان به والإسـلام الظاهر والباطن له. وينهون عن المنكر وهو الشرك بعبادة الله تعالى والكفر به وبرسوله فقال عز وجل: ﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات﴾ أي يبادرون إليها قبل فواتها والخيرات هي كل قول وعمل صالح من سائر القربات. وشهد

---

(١) يرى بعضهم أن الكلام تم عند قوله: ﴿ليسوا سواء﴾ أي ليس المسلمون وأهل الكتاب سواء ثم استأنف فقال: ﴿مِنْ أهل الكتاب﴾ الخ، وما ذكرته في التفسير أصح وأوضح.

(٢) المراد بهم: عبدالله بن سلام، وأخوه وعمته وَسَعْية أو سنعة بن غريض، وثعلبة ابن سعية وأسد القرظي، وغيرهم ممن أسلموا وحسن إسلامهم، في دنيا الإسلام والمسلمين إلى اليوم.

تعالى لهم بالصلاح فقال: ﴿وأولئك من الصالحين﴾.

وأخيراً في الآية الأخيرة (١١٥) أن ما يفعلونه من الصالحات وما يأتونه من الخيرات لن يجحدوه بل يعترف لهم به ويجزون عليه أتم الجزاء، لأنهم متقون والله عليم بالمتقين فلن يضيع أجرهم.

## هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ فضل الثبات على الحق والقيام على الطاعات.

٢ـ فضل تلاوة القرآن الكريم في صلاة الليل.

٣ـ فضل الإيمان والدعوة إلى الإسلام.

٤ـ فضل المسابقة في الخيرات والمبادرة إلى الصالحات.

٥ـ فضيلة الكتابي إذا أسلم وحسن إسلامه، وفي الصحيحين يقول الرسول ﷺ «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران» الحديث..

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ[1] لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

## شرح الكلمات:

كفـــروا : كذبوا بالله ورسوله وشرعه ودينه.

لن تغني عنهم : لن تجزى عنهم يوم القيامة أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا، إذ لا مال يومئذ ينفع، ولا بنون.

(١) ﴿إنّ الذين كفروا﴾ اسم إنّ والخبر: ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا﴾.

مثـــل : أي صفة وحال ما ينفقونه لإبطال دعوة الإسلام، أو للتصدق به.

الصـــرّ[1] : الريح الباردة الشديدة البرد التي تقتل الزرع وتفسده.

الحـــرث : ما تحرث له الأرض وهو الزرع.

ظلموا أنفسـهم : حيث دنسوها بالشرك والمعاصي فعرضوها للهلاك والخسار.

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى حال مؤمني أهل الكتاب وأثنى عليهم بما وهبهم من صفات الكمال ذكر هنا في هاتين الآيتين ما توعد به أهل الكفر من الكتابيين وغيرهم من المشركين على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب ليهتدي من هيأه الله تعالى للهداية فقال: إن الذين كفروا أي كذبوا الله ورسوله فلم يؤمنوا ولم يوحّدوا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم[2] أي في الدنيا والأخرة مما أراد الله تعالى بهم شيئاً من الإغناء، لأن الله تعالى غالب على أمره عزيز ذو انتقام، وقوله تعالى: ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾. فيه بيان حكم الله تعالى فيهم وهو أن أولئك البعداء في الكفر والضلال المتوغلين في الشر والفساد هم أصحاب النار الذين يعيشون فيها لا يفارقونها أبداً ولن تغني عنهم أموالهم التي كانوا يفاخرون بها، ولا أولادهم الذين كانوا يعتزون بهم ويستنصرون، إذ يوم القيامة لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم: سليم من الشك والشرك والكبر والعجب والنفاق.

هذا ما تضمنته الآية: (١١٦) أما الآية (١١٧) فقد ضرب تعالى فيها مثلاً لبطلان نفقات الكفار والمشركين وأعمالهم التي يرون أنها نافعة لهم في الدنيا والآخرة ضرب لها مثلاً: ريحاً باردة شديدة البرودة أصابت زرع أناس كاد يُحصد وهم به فرحون وفيه مؤملون فأفسدته تلك الريح وقضت عليه نهائياً فلم ينتفعوا بشيء منه، قال تعالى في هذا المثل: مثل ما ينفقون - أي أولئك الكفار في هذه الحياة الدنيا أي مما يرونه نافعاً لهم من بعض أنواع البر. كمثل ريح فيها صرّ[3] أي برد شديد أصابت - أي تلك الريح الباردة حرث قوم أي زرعهم النابت

(١) الصر: مأخوذ من الصرير الذي هو الصوت وفي الحديث: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجراد الذي قتله الصرّ» أي البرد الشديد.

(٢) كرّر حرف النفي ﴿ولا أولادهم﴾ لتأكيد عدم إغناء الأولاد عنهم شيئاً مع أن العرف أن الأولاد يذبون عن آبائهم ويدفعون عنهم.

(٣) ﴿فيها صرّ﴾ هذا التعبير أفاد شدّة برد هذه الريح إذ جعل الصرّ مظروفاً فيها.

فأهلكته أي أفسدته. فحرموا من حرثهم ما كانوا يؤملون، وما ظلمهم[1] حيث أرسل عليهم الريح فأهلكت زرعهم، إذ لم يفعل الله تعالى هذا بهم إلا لأنهم ظلموا بالكفر والشرك والفساد فجزاهم الله بالحرمان وبذلك كانوا هم الظالمين لأنفسهم. قال تعالى: ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾.

## هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ لن يغني عن المرء مال ولا ولد متى ظلم وتعرض لنقمة الله تعالى.

٢ـ أهل الكفر هم أهل النار وخلودهم فيها محكوم به مقدّر عليهم لا نجاة منه.

٣ـ بطلان العمل الصالح بالشرك والموت على الكفر.

٤ـ استحسان ضرب الأمثال في الكلام لتقريب المعاني إلى الأذهان.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

---

(١) نفى تعالى عن نفسه ظلم هؤلاء المنفقين في الباطل والشر والفساد، فلم يجنوا خيراً من إنفاقهم وأثبت الظلم منهم لأنفسهم لسوء إنفاقهم وفساده.

## شرح الكلمات :

بطانة : بطانة الرجل[1] الذين يطلعهم على باطن[2] أمره الذي يخفيه على الناس للمصلحة.

من دونكم : من غيركم أي من غير المسلمين كالكفار وأهل الكتاب.

لا يألونكم : لا يقصرون في إفساد الأمور عليكم.

خبالاً[3] : فساداً في أمور دينكم ودنياكم.

ودوا ما عنتم : أحبّوا عنتكم أي مشقتكم.

بدت البغضاء : ظهرت شدة بغضهم لكم.

أولاء : هؤلاء حذفت منه هاء التنبيه لوجودها في ها أنتم قبلها.

بالكتاب كله : أي بالكتب الإلهية كلها.

عضوا عليكم الانامل

من الغيظ : من شدة الغيظ عليكم، لأن المغتاظ إذا اشتد به الغيظ يعض أصبعه على عادة البشر، والغيظ: شدة الغضب.

حسنة : ما يحسن من أنواع الخير كالنصر والتأييد والقوة والخير.

سيئة : ما يسوءكم كالهزيمة أو الموت أو المجاعة.

كيدهم : مكرهم بكم وتبييت الشر لكم.

بما يعملون محيط : علمًا به وقدرة عليه، إذ هم واقعون تحت قهره وعظيم سلطانه.

## معنى الآيات :

لما أخبر تعالى عن مصير الكافرين في الآخرة، وأن ذلك المصير المظلم كان نتيجة كفرهم وظلمهم حذر المؤمنين من موالاتهم دون المؤمنين وخاصة أولئك الذين يحملون في صدورهم الغيظ والبغضاء للمسلمين الذين لا يقصرون في العمل على إفساد أحوال المسلمين والذين

---

(١) أصل البطانة: بطانة الثوب شبه بها بطانة الرجل ووليجته وهم مَنْ يطلعهم على أسراره ثقة فيهم، ومثل البطانة: الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد وفي الحديث «الأنصار شعار والناس دثار».

(٢) روى البخاري تعليقاً أنّ النبي ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلاّ كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله».

(٣) الخبال: الخبل وهو الفساد وفي الحديث: «من أصيب بدم أو خبل» أي جرح يفسد العضو ويقال: رجل خبل، وخبله الحبّ: أفسده.

يسـوءهم أن يروا المسلمـين متآلفين متحابين أقوياء ظاهرين منصورين على أهل الشرك والكفر، ويسرهـم أيضا أن يروا المسلمين مختلفين أو ضعفاء منكسرين مغلوبين. فقال تعالى ـ وقوله الحق ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً. ﴿لا تتخـذوا بطانة﴾ أي أفراداً من دونكم[1] أي من غير أهل دينكم، كاليهود والنصارى والمنافقين والمشركين تستشيرونهم وتطلعونهم على أسراركم وبواطن أموركم، ووصفهم تعالى تعريفاً بهم فقال: ﴿لا يألونكم[2] خبالاً﴾ يعني لا يقصرون في إفساد أموركم الدينية والدنيوية.

﴿ودوا ما عنتم﴾ أي أحبوا عنتكم ومشقتكم، فلذا هم لا يشيرون عليكم إلا بما يفسد عليكم أموركم ويسبب لكم الكوارث والمصائب في حياتكم وقوله تعالى ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾ وصف آخر مشخص لهؤلاء الأعداء المحرم اتخاذهم بطانة، ألا وهو ظهور البغضاء من أفواههم[3] بما تنطق به ألسنتهم من كلمات الكفر والعداء للإسلام وأهله، وما يخفونه من ذلك في صدورهم[4] هو أكبر مما يتفلت من ألسنتهم. ويؤكد عز وجل تحذيره للمؤمنين فيقول: ﴿قد بينّا لكم الآيات﴾ المتضمنة لبيان أعدائكم وأحوالهم وصفاتهم لتعتبروا ﴿إن كنتم تعقلون﴾ أي الخطاب وما يتلى عليكم ويقال لكم. ثم يقول تعالى معلمًا محذراً ها أنتم أيها المسلمون تحبونهم ولا يحبونكم. قد علم الله أن من بين المؤمنين من يحب بعض الكافرين لعلاقة الإحسان الظاهرة بينهم فأخبر تعالى عن هؤلاء كما أن رحمة المؤمن وشفقتـه قد تتعدى حتى لأعدائه فلذا ذكر تعالى هذا وأخبر به وهو الحق، وقال: ﴿تؤمنون بالكتاب كله﴾ أي وهم لا يؤمنون بكتابكم فانظروا إلى الفرق بينكم وبينهم فكيف إذاً تتخذونهم بطانة تفضون إليهم بأسراركم. وأخبر تعالى عن المنافقين أنهم إذا لقوا المؤمنين قالـوا إنا مؤمنون وإذا انفردوا عنهم وخلوا بأنفسهم ذكروهم وتغيظوا عليهم حتى يعضوا

---

(١) قيل لعمر رضي الله عنه إنّ ها هنا رجلا من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا آخذ بطانة من دون المؤمنين. وجاء أبو موسى الأشعري بحسّاب نصارى لعمر فانتهره وقال: لا تدنهم، وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله.

(٢) هذه الجملة وإن كانت صفة لكلمة بطانة، فهي في معنى العلّة للنهي السابق.

(٣) خصت الأفواه بالذكر دون الألسن: إشارة إلى أنهم يتشدّقون بالكلام إيهاماً وتضليلاً.

(٤) استدل أهل العلم بهذه الآية على أنّ شهادة العدو لا تصح على عدوه وكيف به إذا كان كافراً؟.

أطراف أصابعهم[١] من شدة الغيظ. فقال تعالى ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل[٢] من الغيظ﴾ وهنا أمر رسوله أن يدعو عليهم بالهلاك فقال له: قل يا رسولنا لهم ﴿موتوا بغيظكم، إن الله عليم بذات الصدور﴾ فلذا أخبر عنهم كاشفاً الغطاء عما تكنه نفوسهم ويخفونه في صدورهم.

هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (١١٨) والثانية (١١٩) وأما الآية الثالثة (١٢٠) فقد تضمنت أيضا بيان صفة نفسيّة للكافرين المنهى عن اتخاذهم بطانة وهو استياؤهم وتألمهم لما يرونه من حسن حال المسلمين كإئتلافهم واجتماع كلمتهم ونصرهم وعزتهم وقوتهم وسعة رزقهم، كما هو أيضاً فرحهم وسرورهم بما قد يشاهدونه من خلاف بين المسلمين أو وقوع هزيمة لجيش من جيوشهم، أو تغير حال عليهم بما يضر ولا يسر وهذه نهاية العداوة وشدة البغضاء[٣] فهل مثل هؤلاء يتخذون أولياء؟ اللهم لا. فقال تعالى: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾. ولما وصف تعالى هؤلاء الكفرة بصفات مهيلة مخيفة قال لعباده المؤمنين مبعداً الخوف عنهم: وإن تصبروا على ما يصيبكم وتتقوا الله تعالى في أمره ونهيه وفي سننه في خلقه لا يضركم[٤] كيدهم شيئاً، لأن الله تعالى وليكم مطلع على تحركاتهم وسائر تصرفاتهم وَسَيُحْبِطُهَا كلها، دل على هذا المعنى قوله في الجملة التذيلية ﴿إن الله بما يعملون محيط﴾.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١ـ حرمة اتخاذ مستشارين وأصدقاء من أهل الكفر عامّة وحرمة إطلاعهم على أسرار الدولة الإسلامية، والأمور التي يخفيها المسلمون على أعدائهم لما في ذلك من الضرر الكبير.

٢ـ بيان رحمة المؤمنين وفضلهم على الكافرين.

٣ـ بيان نفسيات الكافرين وما يحملونه من إرادة الشر والفساد للمسلمين.

٤ـ الوقاية من كيد الكفار ومكرهم تكمن في الصبر والتجلد وعدم إظهار الخوف للكافرين

---

(١) العض: مصدر عضّ يعضّ عضّاً وعضيضا إذا أخذ الشيء بأسنانه والعُض بضم العين علف الدواب.

(٢) الأنامل: جمع أنملة وهي طرف الأصبع الأعلى.

(٣) هذا من شدة حسدهم للمسلمين ولقد أحسن من قال: كل العداوة قد تُرجى إفاقتها*إلاّ عداوة من عاداك من حَسَد

(٤) قرىء ﴿لايضركم﴾ مِنْ ضاره يضيره ضيراً، ومنه قوله تعالى: ﴿لا ضير﴾ والضير والضرر بمعنى واحد.

ثم تقوى الله تعالى بإقامة دينه ولزوم شرعه والتوكل عليه، والأخذ بسننه في القوة والنصر.

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

**شرح الكلمات:**

**وإذ غدوت** : أي واذكر إذ غدوت، والغدوّ: الذهاب أول النهار.

**من أهلك** : أهل الرجل زوجه وأولاده. ومن لابتداء الغاية إذ خرج ﷺ صباح السبت من بيته إلى أحد حيث نزل المشركون به[1] يوم الأربعاء.

**تبوِّىء المؤمنين** : تنزل المجاهدين الأماكن التي رأيتها صالحة للنزول فيها من ساحة المعركة.

**همَّتْ** : حدثت نفسها بالرجوع إلى المدينة وتوجّهت إرادتها إلى ذلك.

**طائفتان** : هما بنو سلمة، وبنو حارثة من الأنصار.

**تفشلا** : تضعفا وتعودا إلى ديارهما تاركين الرسول ومن معه يخوضون المعركة وحدهم.

**والله وليهما** : متولي أمرهما وناصرهما ولذا عصمهما من ترك السير إلى المعركة.

**ببدر** : بدر اسم رجل وسمي المكان به لأنه كان له فيه ماء وهو الآن قرية تبعد عن المدينة النبويّة بنحو من مائة وخمسين ميلاً «كيلومتر»

**وأنتم أذلة** : لقلة عَدَدكم وعُدَدِكُمْ وتفوّق العدو عليكم.

---

(١) الموافق للثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة «وقد رأى النبي ﷺ رؤيا فرأى أنّ في سيفه ثلمة، وأن بقراً له تذبح وأنه أدخل يده في درع حصينة، فتأولها أنّ نفراً من أصحابه يُقتلون وأنّ رجلاً من أهل بيته يصاب، وأنّ الدرع الحصينة المدينة». أخرجه مسلم.

## معنى الآيات :

لما حذر الله تعالى المؤمنين من اتخاذ بطانة من أهل الكفر والنفاق، وأخبرهم أنهم متى صبروا واتقوا لا يضرهم كيد أعدائهم شيئاً ذكرهم بموقفين أحدهما لم يصبروا فيه ولم يتقوا فأصابتهم الهزيمة وهو غزوة أحد، والثاني صبروا فيه واتقوا فانتصروا وهزموا عدوهم وهو غزوة بدر، فقال تعالى: ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال﴾ أي اذكر يا رسولنا لهم غدوّك صباحاً من بيتك الى ساحة المعركة بأحد، تبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال أي تنزلهم الأماكن الصالحة للقتال الملائمة لخوض المعركة، والله سميع لكل الأقوال التي دارت بينكم في شأن الخروج إلى العدو، أو عدمه وقتاله داخل المدينة[1] عليم بنياتكم وأعمالكم ومن ذلك هَمٌّ بني سلمة وبني حارثة بالرجوع من الطريق لولا أن الله سلم فعصمهما من الرجوع لأنه وليهما. هذا معنى قوله تعالى: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ أي تجبُنا وتُحجمَا عن ملاقاة العدو، والله وليهما فعصمهما من ذنب[2] الرجوع وترك الرسول ﷺ يخوض المعركة بدون جناحيها وهما بنو حارثة وبنو سلمة ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فتوكلت الطائفتان على الله وواصلتا سيرهما مع رسول الله ﷺ فسلمهما الله من شر ذنب وأقبحه. والحمد لله.

هذا موقف والمقصود منه التذكير بعدم الصبر وترك التقوى فيه حيث أصاب المؤمنين فيه شر هزيمة واستشهد من الأنصار سبعون ومن المهاجرين أربعة وشج[3] رأس النبي ﷺ وكسرت رباعيته واستشهد عمه حمزة[4] رضي الله عنه.

والموقف الثاني هو غزوة بدر حيث صبر فيها المؤمنون واتقوا أسباب الهزيمة فنصرهم الله وأنجز لهم ما وعدهم لأنهم صبروا واتقوا، فقتلوا سبعين رجلاً وأسروا سبعين وغنموا غنائم طائلة قال تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر[5] وأنتم أذلة﴾ فاتقوا الله بالعمل بطاعته، ومن ذلك

---

(١) خرج الرسول ﷺ بألف رجل من المدينة وفي أثناء مسيره رجع ابن أُبيّ بثلثمائة رجع غاضباً إذ كان يرى عدم قتال العدو خارج المدينة فلم يُطع في ذلك فغضب، ورجوعه هو الذي سبّب الهمّ بالرجوع لبني حارثة وبني سلمة.

(٢) روى البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال: فينا نزلت: ﴿إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليّهما﴾ قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة، وما أحبّ أنها لم تنزل لقول الله عز وجل: ﴿والله وليّهما﴾.

(٣) الذي رمى رسول الله ﷺ فشج وجهه هو ابن قميئة أقماه الله ولعنه، والذي أدمى شفة رسول الله ﷺ وكسر رباعيته هو عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص.

(٤) وقتل حمزة وحشيّ، كانت تحرّضه على قتل حمزة هند بنت عتبة وتقول له: إيهاً أبا دسمة اشف واستشف. (والدُّسمة: غبرة في سواد).

(٥) كانت غزوة بدر في السابع عشر من رمضان يوم جمعة وكان جيش العدو بها ما بين التسعمائة إلى الألف، وجيش المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا، وغزوة بدر أوّل غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

ترك اتخاذ بطانة من اعدائكم لتكونوا بذلك شاكرين نعم الله عليكم فيزيدكم، فذكر تعالى في هذا الموقف النصر لأنه خير، فقال ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ ولم يقل في الموقف الأول ولقد هزمكم الله بأحد وأنتم أعزة، لأنه تعالى حَيِي كريم فاكتفى بتذكيرهم بالغزوة فقط وهم يذكرون هزيمتهم فيها ويعلمون أسبابها وهي عدم الطاعة وقلة الصبر.

## هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ فضيلة الصبر والتقوى وأنهما عدة الجهاد في الحياة.

٢ـ استحسان التذكير بالنعم والنقم للعبرة والاتعاظ.

٣ـ ولاية الله تعالى للعبد تقيه مصارع السوء، وتجنبه الأخطار.

٤ـ تقوى الله تعالى بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه هي الشكر الواجب على العبد.

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾

## شرح الكلمات :

**ألن يكفيكم** : الاستفهام انكاري[١] أي ينكر عدم الكفاية. ومعنى يكفيكم يسد حاجتكم.

---

(١) ذهب بعض إلى أنّ الاستفهام هنا تقريري لأنّه مجاب بـ بَلَى، وجائز أن يكون للاستفهام معنيان في آن واحد لدلالة اللفظ عليهما معاً فتأمّل!!

أن يمدكـــم : أي بالملائكة عوناً لكم على قتال أعدائكم المتفوقين عليكم بالعدد والعتاد.

الملائكـة : واحـدهم ملاك وهم عبـاد لله مكـرمون مخلقون من نور لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

بلـــى : حرف إجابة أي يكفيكم.

من فورهم[1] هذا : أي من وَجْهِهِم في وقتهم هذا.

مســـومين : معلمين بعلامات تعرفونهم بها.

إلا بشرى لكـم : البشرى: الخبر السار الذي يتهلل له الوجه بالبشر والطلاقة.

ولتطمئن به قلوبكم : اطمئنان القلوب سكونها وذهاب الخوف والقلق عنها.

ليقطع طرفاً : الطرف الطائفة، يريد ليهلك من جيش العدو طائفة.

أو يكبتـــهم : أي يخزيهم ويذلهم.

فينقلبوا خائبين : يرجعوا إلى ديارهم خائبين لم يحرزوا النصر الذي أمّلوه.

## معنى الآيات:

ما زال السياق في تذكير الرسول ﷺ والمؤمنين بما تم لهم من النصر في موقف الصبر والتقوى في بدر فقال: ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾[2] عندما بلغهم وهم حول المعركة أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين برجاله يقاتلون معهم فشق ذلك على أصحابك فقلت: ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ بلى: أي يكفيكم. ﴿إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم[3] من فورهم هذا﴾ أي من وجههم ووقتهم هذا ﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ بعلامات وإشارات خاصة بهم، ولما انهزم كرز قبل تحركه وقعد عن إمداد قريش بالمقاتلين لم يمد الله تعالى رسوله والمؤمنين بما ذكر من الملائكة فلم يزدهم على الألف الأولى التي أمدهم بها لما استغاثوه في أول المعركة جاء ذلك في سورة

(١) الفور: مصدر فارت القدر فوراً واستعير للأولية مع السرعة في الحال بدون بطء أو تأخر أو تراخ.

(٢) ذهب بعض المفسرين كمجاهد وعكرمة وغيرهما أن قوله تعالى: ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ الخ كان يوم أحد فهو وعد لهم بالمدد المذكور من الملائكة على شرط الصبر والتقوى فلما لم يصبروا ولم يتقوا كما هو معلوم لم يمدهم بالعدد المذكور من الملائكة، وما ذهبنا إليه في التفسير أقرب إلى الواقع والله أعلم.

(٣) أي المشركون من أصحاب كرز.

الأنفال في قوله تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة﴾ فهذه الألف هي التي نزلت فعلاً وقاتلت مع المؤمنين وشوهد ذلك وعلم به يقيناً، أما الوعد بالإمداد الأخير فلم يتم لأنه كان مشروطاً بإمداد كرز لقريش فلما لم يمدهم، لم يمد الله تعالى المؤمنين، فقال تعالى ﴿وما جعله الله﴾ أي الامداد المذكور ﴿إلا بشرى للمؤمنين﴾ تطمئن به قلوبهم وتسكن له نفوسهم فيزول القلق والاضطراب الناتج عن الخوف من إمداد كرز المشركين بالمقاتلين، ولذا قال تعالى ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾[1] العزيز أي الغالب، الحكيم الذي يضع النصر في موضعه فيعطيه مستحقه من أهل الصبر والتقوى ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا﴾ وقد فعل فأهلك من المشركين سبعين، أو يكبتهم أي يخزيهم ويذلهم إذ أُسِرَ منهم سبعون ﴿وانقلبوا خائبين﴾ لم يحققوا النصر الذي أرادوه.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١- بيان سبب هزيمة المسلمين في أحد وهو عدم صبرهم وإخلالهم بمبدأ التقوى إذ عصى الرماة أمر رسول الله ﷺ ونزلوا من الجبل يجرون وراء الغنيمة هذا على تفسير أن الوعد بالثلاثة آلاف وبالخمسة كان بأحد[2]، وكان الوعد مشروطاً بالصبر والتقوى فلما لم يصبروا ولم يتقوا لم يمدهم بالملائكة الذين ذكر لهم.

٢- النصر وإن كانت له عوامله من كثرة العدد وقوة العدة فإنه بيد الله تعالى فقد ينصر الضعيف ويخذل القوى، فلذا وجب تحقيق ولاية الله تعالى أولاً قبل إعداد العدد. وتحقيق الولاية يكون بالإيمان والصبر والطاعة التامة لله ولرسوله ثم التوكل على الله عز وجل.

٣- ثبوت قتال الملائكة مع أصحاب رسول الله ﷺ في بدر قتالاً حقيقياً، لأنهم نزلوا في صورة بشر يقاتلون على خيول، وعليهم شاراتهم وعلاماتهم. ولا يقولنّ قائل[3]: الملك الواحد يقدر على أن يهزم ملايين البشر، فكيف يعقل اشتراك ألف ملك في قتال المشركين وهم لا يزيدون عن الألف رجل، وذلك أن الله تعالى أنزلهم في صورة بشر[4] فأصبحت صورتهم وقوتهم قوة

---

(١) الحكيم: الذي يضع الأشياء في مواضعها ويفعل دائما على ما تقتضيه الحكمة في سائر أفعاله.

(٢) وهو الراجح من قولي المفسرين كابن جرير وغيره.

(٣) قاله الأصمّ كأنه فعلا أصم فلم يسمع كلام الله تعالى، واسم هذا الأصمّ أبو بكر وهو من أهل الاعتزال، وإذا فلا غرابة في انكاره.

(٤) يدل لذلك قوله تعالى: ﴿مسومين﴾ فالمسوّم ذو السمة أي العلامة، وذلك أنّ البطل المقاتل يجعل على رأسه أو على رأس فرسه ريشاً ملوّناً يرمز به إلى أنه لا يخاف أن يعرفه عدوّه حتى لا يسدّد إليه سهامه.

البشر، ويدل على ذلك ويشهد له أنّ ملك الموت لما جاء موسى في صورة رجل يريد أن يقبض روحه ضربه موسى عليه السلام ففقأ عينه، وعاد إلى ربّه تعالى ولم يقبض روح موسى عليهما معاً السلام. من رواية البخاري.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

**شرح الكلمات:**

**الأمر**: الشأن والمراد هنا توبة الله على الكافرين أو تعذيبهم.

**شيء**: شيء نكرة متوغلة في الإبهام. وأصل الشيء: ما يعلم ويخبر به.

**أو**: هنا بمعنى حتى أي فاصْبِرْ حتى يتوب عليهم أو يعذبهم.

**لله ما في السموات...**: أي ملكاً وخلقاً وعبيداً يتصرف كيف يشاء ويحكم كما يريد.

**لا تأكلوا الربا**: لا مفهوم للأكل بل كل تصرف بالربا حرام سواء كان أكلاً أو شرباً أو لباساً.

**الربا**[1]: لغة: الزيادة، وفي الشرع نوعان: ربا فضل وربا نسيئة ربا الفضل: يكون في الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح فإذا بيع الجنس بمثله يحرم الفضل أي الزيادة ويحرم التأخير،

---

(١) ربا البنوك اليوم شرّ من ربا الجاهلية هو أن يبيع الرجل أخاه شيئاً إلى أجل فإذا حلّ الأجل ولم يجد سداداً قال له أخرْ وزد، أمّا ربا البنوك فإنه يبيعه نقداً بنقد إلى أجل بزيادة فورية يسجلها عليه.

| | |
|---|---|
| | وربا النسيئة : هو أن يكون على المرء دين الى أجل فيحل الأجل ولم يجد سدادا لدينه فيقول له أخرني وزد في الدين. |
| أضعافاً مضاعفة | : لا مفهوم لهذا لأنه خرج مخرج الغالب، إذ الدرهم الواحد حرام كالألف، وإنما كانوا في الجاهلية يؤخرون الدين ويزيدون مقابل التأخير حتى يتضاعف الدين فيصبح أضعافاً كثيرة. |
| تفلحــــون | : تنجون من العذاب وتظفرون بالنعيم المقيم في الجنة. |
| أعـدت للكافرين | : هيئت وأحضرت للمكذبين لله ورسوله ﷺ. |
| لعلكم ترحـــون | : لترحموا فلا تُعذَّبوا بما صدر منكم من ذنب المعصية. |

## معنى الآيـات :

[1]صح أن النبي ﷺ كان قد دعا على أفراد من المشركين بالعذاب، وقال يوم أحد لما شج رأسه وكسرت رباعيته : «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم؟» فأنزل الله تعالى عليه قوله : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أي فاصبر حتى يتوب[2] الله تعالى عليهم أو يعذبهم بظلمهم فإنهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الأرض ملكاً وخلقاً يتصرف كيف يشاء ويحكم ما يريد فإن عذب فبعدله وإن رحم فبفضله، وهو الغفور لمن تاب الرحيم بمن أناب.

هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (١٢٨) والثانية (١٢٩) وأما الآية الثالثة (١٣٠) فإن الله تعالى نادى عباده المؤمنين بعد أن خرجوا من الجاهلية ودخلوا في الإسلام بأن يتركوا أكل الربا وكل تعامل به فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ﴿لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾ إذ كان الرجل يكون عليه دين ويحل أجله ولم يجد ما يسدد به فيأتي إلى دائنه ويقول أخِّر ديني[3] وزد عليّ وهكذا للمرة الثانية والثالثة حتى يصبح الدين بعدما كان عشراً عشرين وثلاثين. وهذا معنى قوله أضعافاً مضاعفة، ثم أمرهم بتقواه عز وجل

---

(١) رواه مسلم وهذا نص الحديث: «لما كسرت رباعية الرسول ﷺ وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته (سنه الأمامية) وهو يدعوهم إلى الله تعالى فأنزل الله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية.

(٢) لما نزلت الآية وفيها ﴿أو يتوب عليهم﴾ وهي تحمل إطماعه ﷺ في إسلامهم قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» روى مسلم عن ابن مسعود قوله: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: ربّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

(٣) هذا إن كان الطالب التاجر المدين أمّا إن كان المطالب هو الدائن فإنه يقول له: أتقضي أم تُربي؟.

وواعدهم بالفلاح فقال عز وجل ﴿واتقوا الله لعلكم تفحلون﴾ أي كي تفلحوا بالنجاة من العذاب والحصول على الثواب وهو الجنة .

وفي الآية الرابعة (١٣١) أمرهم تعالى باتقاء النار التي أعدها للكافرين فهي مهئية محضرة لهم، واتقاؤها يكون بطاعته تعالى وطاعة رسوله ﷺ فقال عز وجل : ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾[1]، أي المكذبين بالله ورسوله فلذا لم يعملوا بطاعتهما لأن التكذيب مانع من الطاعة، وفي الآية الأخيرة (١٣٢) أمرهم تعالى بطاعته وطاعة رسوله ووعدهم على ذلك بالرحمة في الدنيا والآخرة وكأنه يشير[2] إلى الذين عصوا رسول الله في أحد وهم الرماة الذين تخلوا عن مراكزهم الدفاعية فتسبب عن ذلك هزيمة المؤمنين أسوأ هزيمة فقال تعالى : ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ أي كي يرحمكم فيتوب عليكم ويغفر لكم ويدخلكم دار السلام والنعيم المقيم .

## هداية الآيات

### من هداية الآيات :

١ـ استقلال الرّب تعالى بالأمر كله فليس لأحد من خلقه تصرف في شيء إلا ما أذن فيه للعبد .

٢ـ الظلم مستوجب للعذاب ما لم يتدارك الرب العبد بتوبة فيتوب ويغفر له ويعفو عنه .

٣ـ حرمة أكل الربا مطلقاً مضاعفاً كان أو غير مضاعف .

٤ـ بيان ربا الجاهلية إذ هو هذا الذي نهى الله تعالى عنه بقوله : ﴿لا تأكلوا الربا﴾ .

٥ـ وجوب التقوى لمن أراد الفلاح في الدنيا والآخرة .

٦ـ وجوب اتقاء النار ولو بشق تمرة.[3]

٧ـ وجوب طاعة الله ورسوله للحصول على الرحمة الإلهية وهي العفو والمغفرة ودخول الجنة .

---

(١) في الآية إشارة واضحة إلى أنّ مستحل الربا يكفر به ويستحق عذاب النار.

(٢) وعليه فآية تحريم الربا هي معترضة في سياق الحديث عن غزوة بدر وأحد، وفي هذا الاعتراض جماله وحسن وقعه في النفوس ومن فوائده دفع السآمة عن السامع إذا استمر الكلام في موضوع واحد.

(٣) حديث «اتقوا النار ولو بشق تمرة» رواه البخاري في صحيحه ورواه غيره.

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾

شرح الكلمات :

وسارعوا[1] : المسارعة إلى الشيء المبادرة إليه بدون توانٍ ولا تراخ.

إلى مغفرة : المغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها. والمراد هنا: المسارعة إلى التوبة بترك الذنوب، وكثرة الاستغفار وفي الحديث: «ما من رجل يذنب ذنبا ثم يتوضأ ثم يصلي ويستغفر الله إلا غفر له»[2].

وجنة : الجنة دار النعيم فوق السموات، والمسارعة إليها تكون بالإكثار من الصالحات.

أُعِدَّتْ : هُيِّئَتْ وأحضرت فهي موجودة الآن مهيأة.

للمتقين : المتقون هم الذين اتقوا الله تعالى فلم يعصوه بترك واجب ولا

---

(١) قُرىء في السبع ﴿سارعوا﴾ بدون واو وهي قراءة ورش عن نافع.
(٢) أخرجه الطبراني عن علي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

بفعل محرم، وإن حدث منهم ذنب تابوا منه فوراً.

**في السراء والضراء**[1] : السراء الحال المسرة وهي اليسر والغنى والضراء الحال المضرة وهي الفقر.

**والكاظمين الغيظ**[2] : كظم الغيظ: حبسه، والغيظ ألم نفسي يحدث إذا أوذي المرء في بدنه أو عرضه أو ماله، وحبس الغيظ: عدم إظهاره على الجوارح بسب أوضرب ونحوهما للتشفي والانتقام.

**والعافين عن الناس** : العفو عدم المؤاخذة للمسيء مع القدرة على ذلك.

**يحب المحسنين** : المحسنون هم الذين يبّرون ولا يسيئون في قول أو عمل.

**فاحشة** : الفاحشة: الفعلة القبيحة الشديدة القبح كالزنى وكبائر الذنوب.

**أوظلموا أنفسهم** : بترك واجب أو فعل محرم فدنسوها بذلك فكان هذا ظلمًا لها.

**ولم يصروا**[3] : أي يسارعون إلى التوبة، لأن الإصرار هو الشد على الشيء والربط عليه مأخوذ من الصر، والصرة معروفة.

**وهم يعلمون** : أي أنهم مخالفون للشرع بتركهم ما أوجب، أو بفعلهم ما حرم.

**ونعم أجر العاملين** : الذي هو الجنة.

## معنى الآيات :

لما نادى الله تعالى المؤمنين ناهياً لهم عن أكل الربا آمراً لهم بتقواه عز وجل، وباتقاء النار وذلك بترك الربا وترك سائر المعاصي الموجبة لعذاب الله تعالى ودعاهم إلى طاعته وطاعة رسوله كي يرحموا في دنياهم وأخراهم. أمرهم في الآية الأولى (١٣٣) بالمسارعة إلى شيئين

---

(١) قيل في السراء والضرّاء: الرخاء والشدة، وقيل في السرّاء العرس والولائم، والضرّاء النوائب والمآتم وما فسرنا به الآية أعمّ وأحسن.

(٢) يقول كضمت السقاء: أي ملأته وسددت عليه والكضامة: مايسدّ به السقاء.

(٣) ذكر القرطبي هنا مسألة وهي مَنْ وطّن نفسه على فعل ذنب فإنه يؤاخذ به ولو لم يفعله لعجز قام به وهو مصر على فعله واستشهد بقوله تعالى: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ يعني أصحاب الجنة الذين عزموا على قطع ثمارها دون إعطاء المساكين منها كما استشهد بحديث: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» وكلامه في الجملة صحيح ولكن مَن ترك ما أصرّ عليه خوفاً من الله تعالى سيكتب له حسنة لحديث: «من هَمّ بسيئة فلم يعملها كتبت له عند الله حسنة».

الأول مغفرة ذنوبهم وذلك بالتوبة النصوح، والثاني دخول الجنة التي وصفها لهم، وقال تعالى ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها[1] السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ أي أحضرت وهيئت للمتقين والمسارعة إلى الجنة هي المسارعة إلى موجبات دخولها وهي الإيمان والعمل الصالح إذ بهما تزكوا الروح وتطيب فتكون أهلاً لدخول الجنة.

هذا ما تضمنته الآية الأولى وأما الآيتان الثانية (١٣٤) والثالثة (١٣٥) فقد تضمنتا صفات المتقين الذين أعدت لهم الجنة دار السلام فقوله تعالى: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ هذا وصف لهم بكثرة الانفاق في سبيل الله، وفي كل أحايينهم من غنىً وفقر وعسر ويسر وقوله: ﴿والكاظمين[2] الغيظ﴾ وصف لهم بالحلم والكرم النفسي وقوله: ﴿والعافين عن[3] الناس﴾ وصف لهم بالصفح والتجاوز عن زلات الآخرين تكرماً، وفعلهم هذا إحسان ظاهر ومن هنا بشروا بحب الله تعالى لهم فقال تعالى ﴿والله يحب المحسنين﴾ كما هو تشجيع على الإحسان وملازمته في القول والعمل وقوله: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ وصف لهم بملازمة ذكر الله وعدم الغفلة، ولذا إذا فعلوا فاحشة ذنباً كبيراً أو ظلموا أنفسهم بذنب[4] دون الفاحش ذكروا وعيد الله تعالى ونهيه عما فعلوا فبادروا الى التوبة وهى الاقلاع عن الذنب والندم عن الفعل والعزم على عدم العودة إليه، واستغفار الله تعالى منه. وقوله تعالى ﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون[5]﴾ وصف لهم بعدم الإصرار أى المواظبة على الذنب وعدم تركه وهم يعلمون أنه ذنب ناتج عن تركهم لواجب، أو فعلهم لحرام، وأما الآية الرابعة (١٣٦) فقد تضمنت بيان جزائهم على إيمانهم وتقواهم وما اتصفوا به من كمالات نفسية، وطهارة روحية الا وهو مغفرة ذنوبهم كل ذنوبهم

---

(١) ذكر العرض ولم يذكر الطول لأنّ الطول لا يدل على العرض أمّا العرض فإنه يدل على الطول، فطول كل شيء بحسب عرضه، وعرض السموات معناه كعرض السموات فلو أخذت السموات، سماء بعد سماء، والأرضون وألصقت ببعضها كان عرض الجنّة كذلك هذا الذي عليه أهل التفسير من السلف، قال الزهري أمّا طولها فلا يعلمه إلاّ الله.

(٢) ورد في كظم الغيظ أحاديث منها: «ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

(٣) ورد في فضل العفو أحاديث كثيرة منها: «من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه» رواه الحاكم وصححه.. ومنها قوله ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبداً بعفو إلاّ عزاً ومن تواضع لله رفعه الله».

(٤) في الصحيحين: قال عثمان أنّه توضأ لهم وضوء النبي ﷺ ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٥) أي أنّ مَن تاب تاب الله عليه هكذا روي عن مجاهد ولا يتنافي مع ما فسرنا به الآية وورد «ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة».

وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها. ومدح المنان عز وجل ما جازاهم به من المغفرة والخلود فى الجنة ذات النعيم المقيم فقال: ﴿ونعم أجر العاملين﴾.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١ـ وجوب تعجيل التوبة وعدم التسويف فيها لقوله تعالى: ﴿سارعوا﴾.

٢ـ سعة الجنة[1]، وانها مخلوقة الآن لقوله تعالى: ﴿أُعدت﴾.

٣ـ المتقون هم أهل الجنة وورثتها بحق.

٤ـ فضل استمرار الانفاق في سبيل الله، ولو بالقليل.

٥ـ فضيلة خلة كظم الغيظ بترك المبادرة الى التشفى والانتقام.

٦ـ فضل العفو عن الناس مطلقامؤمنهم وكافرهم بارهم وفاجرهم.

٧ـ فضيلة الاستغفار وترك الإصرار على المعصية للآية والحديث: «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة». رواه الترمذى وابوداود. وحسنه ابن كثير.

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾

---

(١) روى أن النبي ﷺ سئل: ما دامت الجنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فأجاب قائلا: سبحان الله، فأين اللّيل إذا جاء النهار؟ قال حيث شاء الله تعالى، قال وكذلك النار تكون حيث شاء الله تعالى». رواه البزار مرفوعاً، وما دل عليه الكتاب والسنة أنّ الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن، وأن النار في أسفل سافلين، ولا منافاة بينهما أبداً.

## شـرح الكلمـات :

قد خلـــت : خلـت: مـــضت.

ســـنن[1] : جمع سنة وهي السيرة والطريقة التي يكون عليها الفرد أوالجماعة، وسنن الله تعالى في خلقه قانونه الماضى فى الخلق.

فسيروا في الأرض : الأمر للارشاد، للوقوف على ديار الهالكين الغابرين لتعتبروا.

عاقبة المكذبين : عاقبة أمرهم وهي ما حل بهم من الدمار والخسار كعاد وثمود.

هذا بيان للناس : أي ما ذكـر في الآيات بيان للنـاس به يتبينـون الهـدى من الضلال وما لازمهما من الفلاح، والخسران.

موعظـــــــة : الموعظة الحال التى يتعظ بها المؤمن فيسلك سبيل النجاة.

ولا تهنـوا : لا تضعفـــوا.

قـــرح : القرح: أثر السلاح فى الجسم كالجرح، وتضم القاف فيكون بمعنى الألم.

الأيـــام[2] : جمع يوم والليالى معهـا والمراد بها ما يجريه الله من تصاريف الحياة من خير وغيره وإعزاز وإذلال.

شـــــهداء[3] : جمع شهيد وهو المقتول فى سبيل الله وشاهد وهو من يشهد على غيره.

ليمحــــــص : ليخلص المؤمنين من أدران المخالفات وأوضار الذنوب.

ويمحـــــق : يمحو[4] ويذهب آثار الكفر والكافرين.

## معـنى الآيـات :

لما حدث ما حدث من انكسار المؤمنين بسبب عدم الصبر، والطاعة اللازمة للقيادة ذكر تعالى تلك الأحداث مقرونة بفقهها لتبقى هدى وموعظة للمتقين من المؤمنين وبدأها بقوله :

---

(١) السُّنَّة: الطريق المستقيم يقال فلان على السنة أي على طريق الاستواء لا يميل إلى شيء من الأهواء وكل من يعمل بسنة رسول الله ﷺ فهو على الطريق المستقيم الذي لا يميل بصاحبه إلى الأهواء والمبتدعات.

(٢) تداولها بين الناس: فرحٌ وغمٌ وصحةٌ وسقمٌ وفقرٌ وانتصارٌ وانكسارٌ والدولة: الكرة ومنه قول الشاعر:

فيوم لنا ويوم علينا     ويوماً نُساء ويوماً نُسر

(٣) سمي القتيل في سبيل الله شهيداً لأنه الحاضر للجنة ومشهود له بها، ومن فضل الشهيد أن لا يجد من ألم القتل إلا كما يجده الإنسان في القرحة لا غير.

(٤) قال ابن كثير في ﴿ويمحق الكافرين﴾ أي فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا ويكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم، ومحقهم وفنائهم.

﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض[1] فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ فأخبر تعالى المؤمنين بأن سننه قد مضت فيمن قبلهم من الأمم كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فقد أرسل الله تعالى اليهم رسله فكذبوهم فأمضى تعالى سننه فيهم فأهلك المكذبين وانجى المؤمنين بعد ما نالهم من أذى أقوامهم المكذبين، وستمضي سنته اليوم كذلك، فينجيكم وينصركم ويهلك المكذبين أعداءكم. وإن ارتبتم فسيروا في الأرض وقفوا على آثار الهالكين، وانظروا كيف كانت عاقبتهم، ثم قال تعالى: هذا الذى ذكرت في هذه الآيات بيان للناس يتبينون به الحق من الباطل والهدى من الضلال، وهدى يهتدون به إلى سبيل السلام وموعظة يتعظ بها المتقون لاستعدادهم بإيمانهم وتقواهم للاتعاظ فيطيعون الله ورسوله فينجون ويفلحون هذا ما تضمّنته الآيتان الأولى (١٣٧) والثانية (١٣٨) وأما الآيتان الثالثة (١٣٩) و الرابعة (١٤٠) فقد تضمنتا تعزية الرب تعالى للمؤمنين فيما أصابهم يوم أحد إذ قال تعالى مخاطباً لهم ﴿ولا تهنوا﴾ أي لا تضعفوا فتقعدوا عن الجهاد والعمل، ولا تحزنوا على ما فاتكم من رجالكم، وأنتم الأعلون أي الغالبون لأعدائكم المنتصرون عليهم، وذلك فيما مضى وفيما هو آتٍ مستقبلا بشرط إيمانكم وتقواكم واعلموا أنه إن يمسسكم قَرْح بموت أو جراحات لا ينبغى أن يكون ذلك موهناً لكم قاعداً بكم عن مواصلة الجهاد فإن عدوكم قد مسّه قَرْح مثله وذلك في معركة بدر، والحرب سِجَال يومٌ لكم ويومٌ عليكم وهى سنة من سنن ربكم في الحياة. هذا معنى قوله تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ ثم بعد هذا العزاء الكريم الحكيم ذكر تعالى لهم علّة هذا الحدث الجَلَل،والسر فيه وقال: ﴿وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء﴾ أي ليظهر بهذا الحادث المؤلم إيمان المؤمنين وفعلا فالمنافقون رجعوا من الطريق بزعامة رئيسهم المنافق الأكبر عبدالله بن أبي بن سلول، والمؤمنون واصلوا سيرهم وخاضوا معركتهم فظهر إيمانهم واتخذ الله منهم شهداء وكانوا نحواً من سبعين شهيداً منهم أربعة من المهاجرين وعلى رأسهم حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ ومصعب بن عمير،[2] والباقون من الأنصار رضي الله عنهم أجمعين. وقوله تعالى: ﴿وليمحص[3] الله الذين آمنوا﴾ أي أوجد هذا الذى أوجده فى أحد من جهاد وانكسار تخليصا

(١) أي بأقدامكم أو بأفهامكم وعقولكم.

(٢) وعبدالله بن جحش ابن عمة رسول الله ﷺ وعثمان بن شمّاس.

(٣) أصل التمحيص: تخليص الشيء من كل عيب، يقال محّصت الذهب إذا أزلت خبثه.

للمؤمنين من ذنوبهم وتطهيراً لهم ليصفوا الصفاء الكامل،ويمحق الكافرين بإذهابهم وإنهاء وجودهم .

إن هذا الدرس نفع المؤمنين فيما بعد فلم يخرجوا عن طاعة نبيهم ، وبذلك توالت انتصاراتهم حتى أذهبوا ريح الكفر والكافرين من كل أرض[1] الجزيرة .

## هداية الآيات

**من هداية الآيات :**

١ـ عاقبة المكذبين بدعوة الحق الخسار والوبال .

٢ـ في آي القرآن الهدي والبيان والمواعظ لمن كان من أهل الإيمان والتقوى .

٣ـ أهل الإيمان هم الأعلون في الدنيا والآخرة .

٤ـ الحياة دول وتارات فليقابلها المؤمن بالشكر والصبر.

٥ـ الفتن تمحص الرجال ، وتودي بحياة العاجزين الجزعين .

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ

(١) وخارج الجزيرة فالفتوحات التي فتحها أصحاب رسول الله ﷺ في الغرب والشرق لم يفتحها غيرهم ممن جاء بعدهم من التابعين ولا من غيرهم وهو إنجاز وعد الله تعالى في قوله : ﴿وأنتم الأعلون﴾ أي الغالبون القاهرون.

ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

## شرح الكلمات :

| | |
|---|---|
| أم حسبتم | : بل أظننتم فلا ينبغي أن تظنوا هذا الظن فالإستفهام إنكاري . |
| ولما يعلم | : ولم يبتلكم بالجهاد حتى يعلم علم ظهور[1] من يجاهد منكم ممن لا يجاهد كما هو عالم به في باطن الأمر وخفيّه . |
| خلت من قبله | : أي مضت من قبله الرسل بلغوا رسالتهم وماتوا . |
| أفإن مات أو قتل[2] | : ينكر تعالى على من قال عندما أشيع أن النبي قُتل (هيا بنا نرجع الى دين قومنا، فالإستفهام منصبٌ على قوله ﴿انقلبتم على أعقابكم . .﴾ لا على فإن مات أو قتل، وإن دخل عليها . |
| انقلبتم على أعقابكم | : رجعتم عن الإسلام إلى الكفر . |
| كتاباً مؤجلاً[3] | : كتب تعالى آجال الناس مؤقتة بمواقيتها فلا تتقدم ولا تتأخر . |
| ثواب الدنيا | : الثواب : الجزاء على النية والعمل معاً، وثواب الدنيا الرزق وثواب الأخرة الجنة . |
| الشاكرين | : الذين ثبتوا على إسلامهم فاعتبر ثباتهم شكراً لله ، وما يجزيهم به هو الجنة ذات النعيم المقيم ، وذلك بعد موتهم . |

---

(١) أي علم شهادة حتى يقع عليه الجزاء بحسب الظاهر المشاهد للناس .

(٢) مات رسول الله ﷺ يوم الاثنين في وقت دخوله المدينة مهاجرا وذلك ضُحىً حين اشتدّ الضحاء، ودفن يوم الثلاثاء أول ليلة الأربعاء . قال أنس : لمّا كان اليوم الذي دخل فيه الرسول ﷺ المدينة أضاء منها كلّ شيء، ولمّا كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلّ شيء وما نفضنا أيدينا من دفن الرسول ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا .

(٣) ﴿كتاباً﴾ منصوب على المصدر، أي كتب ذلك كتاباً، ومؤجلا نعت .

## معنى الآيات :

ما زال السياق متعلقاً بغزوة أحد فأنكر تعالى على المؤمنين ظنهم أنهم بمجرد ايمانهم يدخلون الجنة بدون أن يبتلوا بالجهاد والشدائد تمحيصاً لهم وإظهاراً للصادقين منهم في دعوى الإيمان والكاذبين فيها، كما يظهر الصابرين الثابتين والجزعين المرتدين فقال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ ثم عابهم تعالى على قلة صبرهم وانهزامهم في المعركة مذكراً إياهم بتمنيات الذين لم يحضروا وقعة بدر، وفاتهم فيها ما حازه من حضرها من الأجر والغنمية بأنهم إذا قُدّر لهم قتال في يوم ما من الأيام يبلون فيه البلاء الحسن فلما قدر تعالى ذلك لهم في وقعة أحد جزعوا وما صبروا وفروا منهزمين فقال تعالى: ﴿ولقد كنتم تمنونْ الموت[1] من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ أي فلم انهزمتم وما وفيتم ما واعدتم أنفسكم به؟ هذا ما تضمنته الآيتان الأولى (١٤٢) والثانية (١٤٣) وأما الآية الثالثة (١٤٤) فقد تضمنت عتاباً شديداً لأصحاب رسول الله ﷺ عندما اشتدت المعركة وحمي وطيسها واستحر القتل في المؤمنين نتيجة خلو ظهورهم من الرماة الذين كانوا يحمونهم من ورائهم وضرب ابن قميئة ـ أقمأه الله ـ رسول الله ﷺ بحجر في وجهه فشجه وكسر رباعيته، وأعلن أنه قتل محمداً فانكشف المسلمون وانهزموا، وقال من قال منهم لم نقاتل وقد مات رسول الله، وقال بعض المنافقين نبعث إلى ابن أبي رئيس المنافقين يأتي يأخذ لنا الأمان من أبي سفيان، ونعود إلى دين قومنا!! فقال تعالى: ﴿وما محمد[2] إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ وما دام رسولاً كغيره من الرسل، وقد مات الرسل قبله فلم ينكر موته،أويندهش له إذاً؟ بعد تقرير هذه الحقيقة العلمية الثابتة أنكر تعالى بشدة على أولئك الذين سمعوا صرخة إبليس في المعركة (قتل محمد) ففروا هاربين إلى المدينة، ومنهم من أعلن ردته في صراحة وهم المنافقون فقال تعالى: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾ فعاتبهم

---

(١) وكان منهم من وفى بما وعد وقاتل حتى استشهد وهو أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك فإنّه لما رأى المسلمين قد انكشفوا قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء، وباشر القتال وهو يقول إني لأجد ريح الجنة ولما قتل وجد به أكثر من ثمانين ضربة وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

(٢) لمّا قُبض ﷺ قام عمر في الناس وقال: إنّ الرسول لم يمت ولن يموت حتى يقطع أيدي وأرجل أقوام، وكان في دهشة عظيمة حتى جاء أبو بكر من العوالي فدخل على رسول الله ﷺ وهو مسجىً فكشف الغطاء عن وجهه وقبّله بين عينيه ثمّ خرج فسمع ما قال عمر فرقي المنبر وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت وقرأ: ﴿وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية، فرجع عمر إلى رشده واعترف بموت نبيه وبكاه.

منكراً على المنهزمين والمرتدين من المنافقين ردتهم، وأعلمهم أن ارتداد من ارتد أو يرتد لن يضر الله تعالى شيئاً فالله غنيّ عن إيمانهم ونصرهم، وأنه تعالى سيجزي الثابتين على إيمانهم وطاعة ربهم ورسوله ﷺ وسيجزيهم دنيا وآخرة بأعظم الأجور وأحسن المثوبات.

هذا ما تضمنته الآية الثالثة أما الآية الرابعة (١٤٥) فقد تضمنت حقيقتين علميتين:

الأولى: أن موت الإنسان متوقف حصوله على إذن الله خالقه ومالكه فلا يموت أحد بدون علم الله تعالى بذلك فلم يكن لملك الموت أن يقبض روح إنسان قبل إذن الله تعالى له بذلك، وشيء آخر وهو أن موت كل إنسان قد ضبط تاريخ وفاته باللحظة فضلاً عن اليوم والساعة، وذلك في كتاب[1] خاص فليس من الممكن أن يتقدم أجل إنسان أو يتأخر بحال من الأحوال، هذه حقيقة يجب أن تعلم، من قول الله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾.

والثانية: أن من دخل المعركة يقاتل باسم الله فإن كان يريد بقتاله ثواب الدنيا فالله عز وجل يؤتيه من الدنيا ما قدره له، وليس له من ثواب الآخرة شيء، وإن كان يريد ثواب الآخرة لا غير فالله عز وجل يعطيه في الدنيا ما كتب له ويعطيه ثواب الآخرة وهو الجنة وما فيها من نعيم مقيم وأن الله تعالى سيجزي الشاكرين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. هذه الحقيقة التي تضمنـها قولة تعالى: ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الله الشاكرين﴾.

## هدايـة الآيـات

**من هداية الآيات:**

١ـ الابتلاء بالتكاليف الشرعية الصعبة منها والسهلة من ضروريات الإيمان.

٢ـ تقرير رسالة النبي محمد ﷺ وبشريته المفضلة[2]، ومَوْتَتِهِ المؤلمة لكل مؤمن.[3]

---

(١) هو كتاب المقادير: اللّوح المحفوظ.

(٢) رثت صفية عمّة رسول الله ﷺ نبي الله بأبيات دلت على مدى ما أصاب المؤمنين من حزن وألم بفراق نبيهم نذكر منها ثلاث أبيات وهي:

أفاطم صلى الله ربّ محمد ... على جَدَثٍ أمسى بيثرب ثاويا
فدىً لرسول الله أمّي وخالتي ... وعمي وآبائي ونفسي وماليا
فلو أنّ ربّ الناس أبقى نبيّنا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

(٣) إن قيل لِمَ تأخر دفن النبي ﷺ يومين وهو القائل: «عجلوا دفن جيفتكم ولا تؤخروها» والجواب: كان ذلك لأمور: أولاً: اختلافهم في المكان الذي يدفنونه فيه حتى أخبرهم الصديق بأنه ﷺ قال: «ما دفن نبي إلاّ حيث يموت» ثانيا: اختلافهم في تعيين الخليفة للأهمية.

٣- الجهاد وخوض المعارك لا يقدم أجل العبد، والفرار من الجهاد لا يؤخره أيضاً.

٤- ثواب الأعمال موقوف على نية العاملين وحسن قصدهم.

٥- فضيلة الشكر بالثبات على الإيمان والطاعة لله ورسوله في الأمر والنهي.

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

**شرح الكلمات:**

**وكأيّن من نبي**[1] : كثير من الأنبياء. وتفسر كأين بكم وتكون حينئذ للتكثير.

**ربيّون**[2] : ربانيون علماء وصلحاء وأتقياء عابدون.

**فما وهنوا لما أصابهم** : ما ضعفوا عن القتال ولا انهزموا لأجل ما أصابهم من قتل وجراحات.

**وما استكانوا** : ما خضعوا ولا ذلوا لعدوهم.

**الإسراف** : مجاوزة الحد في الأمور ذات الحدود التي ينبغي أن يوقف عندها.

**فآتاهم الله ثواب الدنيا** : أعطاهم الله تعالى ثواب الدنيا النصر والغنيمة.

**المحسنين** : الذين يحسنون نياتهم فيخصلون أعمالهم لله، ويحسنون أعمالهم فيأتون بها موافقة لما شرعت عليه في كيفياتها وأعدادها وأوقاتها.

---

(١) قال الخليل (وكأين) أصلها أي دخلت عليها كاف التشبيه وبنيت معها فصارت مثل كم للدلالة على التكثير وفيها لغات منها: كائن وقرأ بها ابن كثير، وكئن وقرأ بها بن محيصن وكأين وبها قرأ الجمهور.

(٢) في الرِّبيين ثلاث لغات: كسر الراء، وضمها، وفتحها وهم الجماعة الكثيرة، والواحد ربّي بكسر الراء وضمها أيضاً وما ذكرناه في التفسير هو الحق.

## معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحديث عن أحداث غزوة أحد فذكر تعالى هنا ما هو فى تمام عتابه للمؤمنين في الآيات السابقة عن عدم صبرهم وانهزامهم وتخليهم عن نبيهم في وسط المعركة وحده حتى ناداهم: إلّي عباد الله إلّي عبادالله فثاب إليه رجال. فقال تعالى مخبراً بما يكون عظة للمؤمنين وعبرة لهم: ﴿وكأيّن من نبي﴾ أي وكم من نبي من الأنبياء السابقين قاتل معه جموع كثيرة من العلماء والاتقياء والصالحين فما وهنوا أي ما ضعفوا ولا ذلوا لعدوهم ولا خضعوا له كما همّ بعضكم أن يفعل أيها المؤمنون، فصبروا على القتال مع انبيائهم متحملين آلام القتل والجرح فأحبهم ربهم تعالى لذلك لأنه يحب الصابرين.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٤٦) ونصها: ﴿وكأيّن من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم، وما ضعفوا وما استكانوا[١] والله يحب الصابرين﴾ وأما الآية الثانية فأخبر تعالى فيها عن موقف أولئك الربيين وحالهم اثناء الجهاد في سبيله تعالى فقال: ﴿وما كان قولهم إلا ان قالـوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا[٢] فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾. ولازم هذا كأنه تعالى يقول للمؤمنين لم لا تكونوا انتم مثلهم وتقولوا قولتهم الحسنة الكريمة وهى الضراعة لله تعالى بدعائه واستغفاره لذنوبهم الصغيرة والكبيرة والتى كثيراً ما تكون سبباً للهزائم والانتكاسات كما حصل لكم أيها المؤمنون فلم يكن لأولئك الربانيين من قول سوى قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فسألوا الله مغفرة ذنوبهم وتثبيت أقدامهم فى أرض المعركة حتى لا يتزلزلوا فينهزموا والنصرة على القوم الكافرين أعداء الله وأعدائهم فاستجاب لهم ربهم فأعطاهم ما سألـوا وهـو ثواب الدنيا بالنصر والتمكين وحسن ثواب الآخرة وهى رضوانه الذى أحله عليهم وهم فى الجنة دار المتقين والأبرار هذا ما دلت عليه الآية الأخيرة (١٤٨) ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن[٣] ثواب الآخرة، والله يحب المحسنين﴾.

---

(١) استكان: مشتق من السكون لأنّ الذليل العاجز يسكن لمن خضع له ولا يتحرك ليدفع عنه الأذى وما ناله من عدوه الغالب له.

(٢) أخرج مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفرلي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني» وهو دعاء تواضع منه عظيم.

(٣) في حسن الثواب والمحسنين جناس تام والجملة تذيلية تحمل البشرى للقوم المحسنين في قتالهم ولقاء أعدائهم مع إحسانهم في عبادة ربهم وسواء منها القلبية والبدنية.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات :**

١ـ الترغيب في الائتساء[1] بالصالحين في إيمانهم وجهادهم وصبرهم وحسن أقوالهم.

٢ـ فضيلة الصبر والإحسان، لحب الله تعالى الصابرين والمحسنين.

٣ـ فضيلة الاشتغال بالذكر[2] والدعاء عند المصائب والشدائد بدل التأوهات وإبداء التحسرات والتمنيات، وشر من ذلك التسخط والتضجر والبكاء والعويل.

٤ـ كرم الله تعالى المتجلي في استجابة دعاء عباده الصابرين المحسنين.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾

**شــرح الكلمـات :**

**إن تطيعوا الذين كفروا** : المراد من طاعة الكافرين قبول قولهم والأخذ بارشاداتهم.

**يردوكم على أعقابكم** : يرجعوكم الى الكفر بعد الإيمان.

**خاسرين** : فاقدين لكل خير في الدنيا، ولأنفسكم واهليكم يوم القيامة.

(١) شاهده أنّ الله تعالى جعل لنا رسوله بعد أن كمّله وعصمه جعله لنا أسوة يأتسي بفعاله وأخلاقه وأحواله المؤمنون المتقون والعالمون الصابرون.

(٢) شاهده ما صح عنه ﷺ أنّه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، والصلاة أكبر مظهر لذكر الله تعالى، ومن الذكر المشروع عند المصائب قول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

| | |
|---|---|
| بل الله مولاكم | : بل اطيعوا الله ربكم ووليكم ومولاكم فإنه خير من يطاع واحق من يطاع . |
| الـرّعــب | : شدة الخوف من توقع الهزيمة والمكروه . |
| مـأواهـــم | : مقر إيوائهم ونزولهم . |
| مثـــوى | : المثوى مكان الثوى وهو الإقامة والاستقرار. |
| الظالمـين | : المشركين الذين اطاعوا غير الله تعالى وعبدوا سواه . |

## معنـى الآيـات :

مازال السياق في احداث غزوة أحد[1] فقد روى أن بعض المنافقين لما رأى هزيمة المؤمنين فى أحد قال في المؤمنين ارجعوا الى دينكم وإخوانكم ولو كان محمد نبياً لما قتل إلى آخر ما من شأنه أن يقال في تلك الساعة الصعبة من الاقتراحات التي قد كشف عنها هذا النداء الإلهي للمؤمنين وهو يحذرهم من طاعة الكافرين بقوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الـذين كفروا يردوكم[2] على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ فلا شك أن الكافرين قد طالبوا المؤمنين بطاعتهم بتنفيذ بعض الاقتراحات التى ظاهرها النصح وباطنها الغش والخديعة، فنهاهم الله تعالى عن طاعتهم في ذلك وهذا النهي وإن نزل فى حالة خاصة فإنه عام في المسلمـين على مدى الحياة فلا يحل طاعة الكافرين من أهل الكتاب وغيرهم وفى كل ما يأمرون به أو يقترحونه، ومن أطاعهم ردّوه عن دينهْ إلى دينهم فينقلب: يرجع خاسراً في دنياه وآخـرته، والعياذ بالله هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٤٩) وأما الآية الثانية (١٥٠) فقد تضمنت الأمـر بطاعتـه تعـالى، إذ هو أولى بذلـك لأنه ربهم ووليهم ومولاهم فهو أحق بطاعتهم من الكافرين فقال تعالى: ﴿بل الله مولاكم[3] ﴾ فاطيعوه، ولا تطيعوا اعداءه وان اردتم أن تطلبـوا النصر بطاعة الكافرين فان الله تعالى خير الناصرين فاطلبوا النصر منه بطاعتـه فإنـه ينصركم وفي الآية الثـالثـة (١٥١) لما امتثل المؤمنون أمر ربهم فلم يطيعوا

---

(١) لفظ الكافرين شامل لكل ما أولت الآية به من المشركين والمنافقين واليهود، وهذا أمر لا ينكر فإنّ طاعة الكافرين لا تفضي بمن أطاعهم إلا إلى الخيبة والخسران في الدّارين.

(٢) وجه المناسبة هو أنه لمّا أمر تعالى المؤمنين بالاقتداء بالصالحين من أتباع الأنبياء، وذلك بالصبر والاحتساب، حذّرهم في هذه الآيات من اتباع الكافرين وقبول ما يطلبون ويقترحونه عليهم فإنه مفض بهم إلى الكفر أولاً ثم إلى الإثم والخسران ثانيا

(٣) قرىء بنصب اسم الجلالة ويكون معمولا لفعل مقدّر وتقديره: بل أطيعواْ الله مولاكم فهو أحق بطاعتكم من الكافرين والمنافقين وفي هذا ردّ على مَنْ قال ساعة الهزيمة: لو كلمنا ابن أبي يأخذ لنا أمناً من أبي سفيان.

الكافرين وع' - ربهم سبحانه وتعالى بأنه سيلقي في قلوب الكافرين الرعب[1] وهو الخوف والفزع والهلع -سى تتمكنوا من قتالهم والتغلب عليهم وذلك هو النصر المنشود منكم، وعلل تعالى فعله ذلك بالكافرين بأنهم اشركوا به تعالى آلهة عبدوها معه لم ينزل بعبادتها حجة ولا سلطاناً وقال تعالى: ﴿سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأخيراً مأواهم النار اى محل اقامتهم النار، وذم تعالى الإقامة فى النار فقال ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين، يريد النار بئس المقام للظالمين وهم المشركون.[2]

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١ـ تحرم طاعة الكافرين فى حال الاختيار.[3]

٢ـ بيان السر فى تحريم طاعة الكافرين وهو أنه يترتب عليها الردة والعياذ بالله.

٣ـ بيان قاعدة من طلب النصر من غير الله أذله الله.

٤ـ وعد الله المؤمنين بنصرهم بعد القاء الرعب في قلوب أعدائهم، إذ هم أبوسفيان بالعودة الى المدينة بعد إنصرافه من أحد ليقضىَ عمن بقى فى المدينة من الرجال كذا سولت له نفسه، ثم ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فعدل عن الموضوع بتدبير الله تعالى.

٥ـ بطلان كل دعوى ما لم يكن لأصحابها حجة وهي المعبر عنها بالسلطان في الآية[4] إذ الحجة يثبت بها الحق ويناله صاحبه بواسطتها.

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم

---

(١) الرعب بإسكان العين وطمسها الخوف الذي يملأ النفس خوفاً، لأنّ مادة الرّعب مأخوذة من الماء، يقال سيل راعب يملأ الوادي، وكانت هذه الآية رداً على أبي سفيان لمّا فكر في العودة إلى المدينة بعد انصرافه من أحد إلّا أنّ الله تعالى هزمه بما ألقى في نفسه من الرّعب فعاد إلى مكة، كما هي بشرى للمؤمنين متى أطاعوا ربهم ونبيهم فإنه يلقى الرعب في قلوب أعدائهم قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالرّعب مسيرة شهر».

(٢) لقوله تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ والكافرون مشركون بلا شكّ.

(٣) أمّا في حال الإكراه فإنّ مَنْ لم يطق العذاب يرخص له في إعطائهم ما طلبوا منه على شرط أن يكون كارها بقلبه ساخطاً في نفسه غير راضٍ عنهم ولا عن صنيعهم وذلك للآية: ﴿إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾.

(٤) السلطان: الحجة لأن الحق يؤخذ بالحجة ويؤخذ بالسلطان، وهل السلطان مأخوذ من السليط وهو ما يضاء به السراج، وهو دهن السمسم، وسمي الحاكم سلطاناً للاستضاءة به في إظهار الحق وقمع الباطل؟ نعم وجائز.

مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم
مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ
وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ
غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

**شرح الكلمات :**

**صدقكم الله وعده** [1] : أنجزكم ما وعدكم على لسان رسوله بقوله للرماة اثبتوا اماكنكم فإنا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم .

**تحسونهم** : تقتلونهم إذ الحس القتل يقال حسه اذا قتله فابطل حسّه .

**بإذنــه** : بإذنه لكم في قتالهم وبإعانته لكم على ذلك .

**فشــلتم** : ضعفتم وجبنتم عن القتال

**تصعــدون** [2] : تذهبون في الأرض فارين من المعركة يقال أصعد إذا ذهب فى صعيد الأرض .

**ولا تلوون على أحد** : لاتلوون رؤوسكم على احد تلتفتون إليه .

**والرسول يدعوكم فى اخراكم** : أي يناديكم من خلفكم الّى عباد الله ارجعوا الّى عباد الله ارجعوا .

---

(١) صدق الوعد : تحقيقه والوفاء به لأنّ الصدق هو مطابقة الخبر للواقع ، وهذا الوعد كان لهم على لسان رسول الله ﷺ إذ أخبرهم به وهو يهيء صفوفهم للقتال .

(٢) صعد يصعد إذا طلع المنبر أو سطحاً وأصعد يصعد إصعاداً إذا سار في بطن الأرض أو الوادي جرياً على صعيد الأرض فكان الإصعاد إبعاداً في الأرض .

**فأثابكم غما بغم**[1] : جزاكم على معصيتكم وفراركم غمًا على غم . والغم الم النفس وضيق الصدر .

**ما فاتكـــم** : من الغـنائم .

**ولا ما أصابكم** : من الموت والجراحات والآلام والاتعاب .

**معنى الآيتين :**

مازال السياق في أحداث احد فقد تقدم فى السياق قريبا نهى الله تعالى المؤمنين عن طاعة الكافرين فى كل ما يقترحون ، ويشيرون به عليهم . ووعدهم بأنه سيلقى الرعب فى قلوب الكافرين وقد فعل فله الحمد حيث عزم ابوسفيان على أن يرجع الى المدينة ليقتل من بها ويستأصل شأفتهم فأنزل الله تعالى في قلبه وقلوب اتباعه الرعب فعدلوا عن غزو المدينة مرة ثانية وذهبوا الى مكة . ورجع الرسول والمؤمنون من حمراء الأسد ولم يلقوا أبا سفيان وجيشه . وفى هاتين الأيتين يخبرهم تعالى بمنته عليهم حيث انجزهم ما وعدهم من النصر فقال تعالى : ﴿ولقد صدقكم[2] الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾ ، وذلك أن الرسول ﷺ لما بوأ الرماة مقاعدهم . وكانوا ثلاثين راميا وجعل عليهم عبدالله بن جبير أمرهم بأن لا يبرحوا أماكنهم كيفما كانت الحال وقال لهم : إنا لا نزال غالبين ما بقيتم فى أماكنكم ترمون العدو فتحمون ظهورنا بذلك ، وفعلاً دارت المعركة وانجز الله تعالى لهم وعده ففر المشركون امامهم تاركين كل شيء هاربين بأنفسهم والمؤمنون يحسونهم حسًّا أي يقتلونهم قتلا بإذن الله وتأييده لهم ولما رأى الرماة هزيمة المشركين والمؤمنون يجمعون الغنائم قالوا : ما قيمة بقائنا هنا والناس يغنمون فهَيَّا بنا ننزل الى ساحة المعركة لنغنم ، فذكرهم عبدالله بن جبير قائدهم بأمر رسول الله ﷺ فتأولوه ونزلوا الى ساحة المعركة يطلبون الغنائم ، وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد فلما رأى الرماة أَخْلَوْا مراكزهم الا قليلا منهم كرَّ بخيله عليهم فاحتل اماكنهم وقتل من بقى فيها ، ورمى المسلمين من ظهورهم فتضعضعوا لذلك فعاد المشركون اليهم ووقعوا بين الرماة الناقمين والمقاتلين الهائجين فوقعت الكارثة فقتل سبعون من المؤمنين ومن

---

(١) الباء قد تكون هنا للمصاحبة أي أصابكم غماً مصحوباً بغم ، والغم الأوّل : القتل والجراح ، والثاني الإرجاف بقتل الرسول ﷺ ، ولا بأس أن يكون الغمّ الأوّل هو الذى أغموا به الرسول بمخالفتهم إيّاه وأصابهم غم الهزيمة .

(٢) في هذه الآية عود إلى التسلية على ما أصابهم ، وإظهار لاستمرار عناية الله تعالى بهم .

بينهم حمزة عم الرسول ﷺ وجرح رسول الله فى وجهه وكسرت رباعيته وصاح الشيطان قائلا ان محمداً قد مات وفر المؤمنون من ميدان المعركة الا قليلا منهم وفى هذا يقول تعالى: ﴿حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر﴾[1]، يريد تنازع الرماة مع قائدهم عبدالله بن جبير حيث نهاهم عن ترك مقاعدهم وذكرهم بأمر رسول الله فنازعوه فى فهمه وخالفوا الأمر ونزلوا، وكان ذلك بعد أن رأوا إخوانهم قد انتصروا واعداءهم قد انهزموا،[2] وهو معنى قوله تعالى: ﴿وعصيتم بعدما أراكم ما تحبون﴾ أي من النصر. ﴿منكم من يريد[3] الدنيا﴾ وهم الذين نزلوا الى الميدان يجمعون الغنائم، ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ وهم عبدالله بن جبير والذين صبروا معه فى مراكزهم حتى استشهدوا فيها وقوله تعالى ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾ وذلك اخبار عن ترك القتال لما أصابهم من الضعف حينما رأوا أنفسهم محصورين بين رماة المشركين ومقاتليهم فأصعدوا فى الوادي هاربين بأنفسهم، وحصل هذا بعلم الله تعالى وتدبيره، والحكمة فيه أشار إليها تعالى بقوله ﴿ليبتليكم﴾ أي يختبركم فيرى المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، والصابر من الجزع، وقوله تعالى ﴿ولقد عفا عنكم﴾ يريد انه لوشاء يؤاخذهم بمعصيتهم امر رسولهم فسلط عليهم المشركين فقتلوهم أجمعين ولم يُبقوامنهم أحداً إذ تمكنوا منهم تماما ولكن الله سلم. هذا معنى ﴿ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٥٢) أما الآية الثانية (١٥٣) فهى تصور الحال التى كان عليها المؤمنـون بعد حصول الانكسار والهزيمة[4] فيقول تعالى ﴿إذ تصعدون﴾ أى عفا عنكم فى الوقت الذى فررتم مصعدين فى الأودية هاربين من المعركة والرسول يدعوكم من ورائكم الَى عباد الله ارجعوا، وأنتم فارون لا تلوون على أحد، أي لا تلتفتوا اليه. وقوله تعالى: ﴿فأثابكم غمّا بغم﴾ يريد جزاكم على معصيتكم غمّا والغم ألم النفس لضيق الصدر وصعوبة

---

(١) ال في الأمر: نائبة عن المضاف، إذ التقدير: في أمركم وشانكم.

(٢) نعم انهزم المشركون في أوّل المعركة حتى شوهدت نساؤهم مشمرات عن سوقهن هاربات في أعلى الجبل خوفاً من الأسر ومن بينهن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان.

(٣) إرادة الدنيا وحدها غير معصية، ولكن ما ترتب عنها من ترك طاعة رسول الله ﷺ، فطالب الدنيا اليوم إذا طلبها من حلّها ولم يخلّ طلبه بواجب، ولم يحمله على فعل حرام، لا يأثم ولا يلام.

(٤) لما تمت الهزيمة جلس رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه على صخرة من سفح أحد، فجاء أبو سفيان فارتفع على نشز من الأرض وقال: أفي القوم محمد؟ فقال لهم رسول الله ﷺ لا تجيبوه ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال النبي ﷺ لا تجيبوه ثم قال: أفي القوم عمر؟ فقال النبي ﷺ لا تجيبوه، ثم التفت إلى أصحابه وقال أما هؤلاء فقد قتلوا، فقال له عمر كذبت يا عدو الله فقد أبقى لك الله من يخزيك به، فقال أعل هبل مرّتين، فأجابوه بأمر رسول الله ﷺ قائلين: الله أعلى وأجل، فقال: لنا العزى ولا عزى لكم، فقالوا بأمر رسول الله ﷺ الله مولانا ولا مولى لكم.

الحـال. وقوله بغم أى على غم، وسبب الغم الأول فوات النصر والغنيمة والثانى القتل والجراحات وخاصة جراحات نبيّهم، وإذاعة قتله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم﴾ أي ما أصابكم بالغم الثانى الذى هو خبر قتل الرسول ﷺ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر والغنيمة، ولا على ما أصابكم من القتل والجراحات فأنساكم الغم الثانى ما غمكم به الغم الأول الذى هو فوات النصر والغنيمة. وقوله ﴿والله خبير بما تعملون﴾ يخبرهم تعالى أنه بكل ما حصل منهم من معصية وتنازع وفرار، وترك للنبى ﷺ فى المعركة وحده وانهزامهم وحزنهم خبير مطلع عليه عليم به وسيجزى به المحسن بإحسانه والمسيىء بإساءته او يعفو عنه، والله عفو كريم.

## هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ـ مخالفة القيادة الرشيدة والتنازع فى حال الحرب يسبب الهزيمة المنكرة.[1]

٢ـ معصية الله ورسوله والاختلافات بين أفراد الأمة تعقب آثاراً سيئة أخفها عقوبة الدنيا بالهزائم وذهاب الدولة والسلطان.[2]

٣ـ ما من مصيبة تصيب العبد إلاّ وعند الله ما هو أعظم منها فلذا يجب حمد الله تعالى على أنها لم تكن أعظم.

٤ـ ظاهر هزيمة أحد النقمة وباطنها النعمة، وبيان ذلك أَنْ عَلِمَ المؤمنون ان النصر والهزيمة يتمان حسب سنن إلهية فما أصبحوا بعد هذه الحادثة المؤلمة يغفلون تلك السنن أو يهملونها.

٥ـ بيان حقيقة كبرى وهى ان معصية الرسول ﷺ مرة واحدة وفي شيء واحد ترتب عليها آلام وجراحات وقتل وهزائم وفوات خير كبير وكثير فكيف بالذين يعصون رسول الله طوال حياتهم وفى كل أوامره ونواهيه وهم يضحكون ولا يبكون، وآمنون غير خائفين.[3]

---

(١) الخلاف كلّه شر ولكنه في ساحة الحرب أشد ولهذا قال تعالى: ﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾ إلى أن قال: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ الآية من سورة الأنفال.

(٢) شاهد هذا حال المسلمين اليوم وقبل اليوم انهم بعد أن عصوا الله ورسوله بالإعراض عن شرع الله وإهمال أحكامه، والتعصب للمذاهب والرضا بالانقسام والخلاف، حل بهم ما حَلّ من الذل والهون والدّون.

(٣) هذه حال أكثر المسلمين اليوم ومنذ قرون عدّة ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، وكذا لم يبرحوا أذلاّء تابعين للكافرين لا يستقلون في عمل أو تدبير.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾

**شرح الكلمات :**

**أمنة نعاسا**[1] : الأمنة : الأمن، والنعاس: استرخاء يصيب الجسم قبل النوم.

**يغشى**[2] **طائفة منكم** : يُصيب المؤمنين ليستريحوا ولا يصيب المنافقين.

**أهمتهم**[3] **أنفسهم** : أي لا يفكرون إلا في نجاة أنفسهم غير مكترثين بما أصاب رسول الله ﷺ وأصحابه.

**ظن الجاهلية** : هو اعتقادهم[4] ان النبيّ قتل أو أنه لا ينصر.

**هل لنا من الأمر** : أي ما لنا من الأمر من شيء.

---

(١) الأمنة هي الأمن وقيل إنّ الأمنة تكون عند الخوف، والأمن يكون مع الخوف وعدمه، وقرىء الأمْنة بإسكان الميم.
(٢) قرىء يغشى بالياء وهو عائد إلى النعاس، وقرىء تغشى بالتاء ويعود على الأمنة.
(٣) من أفراد هذه الطائفة معتب بن قشير، وأصحابه خرجوا طمعاً للغنيمة لا غير.
(٤) قال ابن عباس: هو تكذيبهم بالقدر.

ما لا يبدون لك : أي مالا يظهرون لك.

لبرز الذين : لخرجوا من المدينة ظاهرين ليلقوا مصارعهم هناك.

كتب عليهم القتل : يريد كتب في كتاب المقادير أي اللوح المحفوظ.

مضاجعهم : جمع مضجع وهو مكان النوم والاضطجاع والمراد المكان الذي صرعوا فيه قتلى.

ليبتلى[1] : ليختبر.

وليمحص : التمحيص: التمييز وهو إظهار شيء من شيء كإظهار الإيمان من النفاق، والحب من الكره.

استزلهم الشيطان : أوقعهم فى الزلل وهو الخطيئة والتي كانت الفرار من الجهاد.

**معنى الآيتين :**

مازال السياق فى الحديث عن غزوة أحد فأخبر تعالى في الآية الأولى (١٥٣) عن أمور عظام الأول أنه تعالى بعد الغم الذى أصاب به المؤمنين أنزل على أهل اليقين خاصة أمناً كاملا فذهب الخوف عنهم حتى أن أحدهم[2] لينام والسيف في يده فيسقط من يده ثم يتناوله قال تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أَمَنَةً نعاساً يغشى طائفة منكم﴾ والثانى ان أهل الشك والنفاق حرمهم الله تعالى من تلك الأمنة فما زال الخوف يقطع قلوبهم والغم يُسَيْطر على نفوسهم وهم لا يفكرون إلا فى أنفسهم كيف ينجون من الموت وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿وطائفة قد أهمتهم[3] أنفسهم﴾ والثالث ان الله تعالى قد كشف عن سرائرهم فقال يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، والمراد من ظنهم بالله غير الحق ظن المشركين أنهم يعتقدون أن الاسلام باطل وأن محمداً ليس رسولاً، وان المؤمنين سينهزمون ويموتون وينتهى الاسلام ومن يدعو إليه. والرابع أن الله تعالى قد كشف سرهم فقال عنهم: ﴿يقولون هل لنا من الأمر من[4] شيء﴾ هذا القول قالوه سراً فيما بينهم، ومعناه ليس لنا من الأمر من شيء

(١) أي ليعاملهم معاملة المختبر لهم وليصبح ما كان غيباً لله مشاهدة لهم.

(٢) قال أبو طلحة والزبير وأنس غشينا النعاس حتى إن السيف ليسقط من يد أحدنا فيتناوله من الأرض.

(٣) حدثتهم أنفسهم بما يدخل الهمّ عليهم وهو تكذيبهم بالقدر، والحرص على نجاتهم وحزنهم على ما فاتهم من الغنيمة وهذه كلها موجبات الهمّ والغمّ.

(٤) هذه الجملة بدل اشتمال من جملة: ﴿يظنون بالله غير الحق﴾ لأنّ ظنهم مشتمل على قولهم: ﴿هل لنا من الأمر من شيء﴾ أي ليس لنا من الأمر من شيء. وهذا القول قاله ابن أبيّ لما سمع باستشهاد من استشهد من الخزرج.

ولو كان لنا ما خرجنا ولا قاتلنا ولا أصابنا الذي أصابنا .فأطلعه الله تعالى على سرهم وقال له: رد عليهم بقولك: إن الأمر كله لله . ثم هتك تعالى مرة أخرى سترهم وكشف سرهم فقال: يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك أي يخفون فى أنفسهم من الكفر والبغض والعداء لك ولأصحابك مالا يظهرونه لك . والرابع لما تحدث المنافقون[1] فى سرهم وقالوالوكان لنامن الأمر من شيء ما قتلنا ها هنا: يريدون لو كان الأمر بأيديهم ما خرجوا لقتال المشركين لأنهم إخوانهم فى الشرك والكفر، ولا قتلوا مع من قتل فى أحد فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم بقـولـه: قل لو كنتم في بيوتكم بالمـدينـة لبرز أي ظهـر الـذين كتب عليهم القتـل الى مضاجعهـم وصرعوا فيها وماتوا، لأن ما قدره الله نافذ على كل حال، ولا حذر مع[2] القدر. ولا بد أن يتم خروجكم الى أحد بتدبير الله تعالى ليبتلى الله أي يمتحن ما في صدوركم ويميز ما في قلوبكم فيظهر ما كان غيباً لا يعلمه إلا هو الى عالم المشاهدة ليعلمه ويراه على حقيقته رسوله والمؤمنون، وهذا لعلم الله تعالى بذات الصدور. هذا معنى قوله تعالى: ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الـذين كتب عليهم القتـل الى مضـاجعهم، وليبتلى الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾.

هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الآية الثانية (١٥٤) فقد تضمنت إخبار الله تعالى عن حقيقة واحدة ينبغي أن تعلم وهي أن الذين فرّوا من المعركة لما اشتد القتال وعظم الكرب الشيطان هو الذي أوقعهم في هذه الزلة وهي توليّهم عن القتال بسبب[3] بعض الذنوب كانت لهم، ولذا عفا الله عنهم ولم يؤاخذهم بهذه الزلة، وذلك لأن الله غفور حليم فلذا يمهل عبده حتي يتوب فيتوب عليه ويغفر له ولو لم يكن حليما لكان يؤاخذ لأول الذنب والزلة فلا يمكن أحداً من التوبة والنجاة. هذا معنى قوله تعالى: ﴿إن الذين تولوا منكم﴾ أي عن القتال، يوم التقى الجمعـان أي جمع المؤمنين وجمع الكافرين بأحد. إنما استزلهم[4] الشيطان ببعض ما

---

(١) تقدم آنفاً أنّ هذا قاله رئيس المنافقين ابن أبيّ وقد عاد من الطريق مع ثلثمائة رجل ممن استجابوا لدعوته المثبطة عن القتال، ولا مانع أن يقوله غير واحد من المنافقين وهو كذلك..

(٢) أي بنافع ولكن طلب الحذر من جملة الأسباب المطلوب اتخاذها طاعة لله تعالى والله يقول: ﴿خذوا حذركم﴾ وإنما لما يقع ما قدره الله تعالى ولم ينفع في رده حذر وجب الرضا به والتسليم لله في اجرائه على مقتضى مراده، وعليه فلا أسف ولا حزن ولا سخط إذ ما قضاه الله هو الخير والخير كلّه.

(٣) في هذه الآية بيان لسبب الهزيمة الخفي، وهو مخالفة أمر الرسول ﷺ حيث تركوا مواقعهم ونزلوا لطلب الغنيمة والمراد إلقاء تبعة الهزيمة عليهم إذ هم السبب فيها.

(٤) استزلهم: أي أزلهم بمعنى جعلهم زالين، والزلل، وإن كان معناه انزلاق القدم، وسقوط صاحبها فإنّ معناها هنا الوقوع في الزّلة التي هي الخطيئة والسين والتاء في استزلهم للتأكيد مثل استفاد كذا، واستنشق الماء أو الهواء، ﴿واستغنى الله﴾.

كسبوا، ولقد عفا الله عنهم فلم يؤاخذهم إن الله غفور حليم .

## هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ إكرام الله تعالى لأوليائه بالأمان الذى أنزله في قلوبهم .

٢ـ إهانة الله تعالى لأعدائه بحرمانهم مما أكرم به اولياءه وهم فى مكان واحد .

٣ـ تقرير مبدأ القضاء والقدر، وأن من كتب موته فى مكان لا بد وأن يموت فيه .

٤ـ أفعال الله تعالى لا تخلو أبداً من حكم عالية فيجب التسليم لله تعالى والرضا بأفعاله في خلقه .

٥ـ الذنب يولد الذنب، والسيئة تتولد عنها سيئة أخرى فلذا وجبت التوبة من الذنب فوراً .

يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا
قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾
وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

## شرح الكلمات :

آمنــــوا : صدقوا الله ورسوله فيما أخبرا به من وعد ووعيد .

إخــوانهــم : هذه أخوة العقيدة لا أخوة النسب وهى هنا أخوة النفاق.

ضربوا فى الأرض : ضربوا فى الأرض بأقدامهم مسافرين(١) للتجارة غالبا .

---

(١) وقد يكون السفر لمصالح المسلمين.

غـــزى[1] : جمع غازٍ وهو من يخرج لقتال ونحوه من شؤون الحرب.
الحســرة[2] : ألم يأخذ بخناق النفس بسب فوت مرغوب أو فقد محبوب.

## معنى الآيات :

ما زال السياق فى أحداث غزوة أحد ونتائجها المختلفة ففي هذه الآية (١٥٦) ينادى الله المؤمنين الصادقين في إيمانهم بالله ورسوله ووعد الله تعالى ووعيده يناديهم[3] لينهاهم عن الاتصاف بصفات الكافرين النفسية ومن ذلك قول الكافرين لإخوانهم فى الكفر إذا هم ضربوا فى الأرض لتجارة أو لغزو فمات من مات منهم أو قتل من قتل بقضاء الله وقدره، لو كانوا عندنا أى ما فارقونا وبقوا في ديارنا ما ماتوا وما قتلوا وهذا دال على نفسية الجهل ومرض الكفر، وحسب سنة الله تعالى فإن هذا القول منهم يتولد، لهم عنه بإذنه تعالى غم نفسي وحسرات قلبية تمزقهم وقد تودى بحياتهم، وما درى أولئك الكفرة الجهال أن الله يحيي ويميت، فلا السفر ولا القتال يميتان، ولا القعود في البيت جبناً وخوراً يحيى هذا معنى قوله تعالى في هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزىً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم، والله يحيي ويميت﴾ وقوله تعالى في ختام هذه الآية: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيه وعد للمؤمنين إن انتهوا عما نهاهم عنه في الآية ووعيد ان لم ينتهوا فيجزيهم بالخير خيراً، وبالشر إن لم يعف شراً. أما الآية الثانية (١٥٧) فإن الله تعالى يبشر عباده المؤمنين مخبراً إياهم بأنهم إن قتلوا في سبيل الله أو ماتوا فيه يغفر لهم ويرحمهم وذلك خير مما يجمع الكفار من حطام الدنيا ذلك الجمع للحطام الذي جعلهم يجبنون عن القتال والخروج فى سبيل الله فقال تعالى: ﴿ولئن قتلتم[4] في سبيل الله أو متم[5] لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾[6] وفي الآية الثالثة (١٥٨) يؤكد تلك الخيرية التى تضمنتها الآية السابقة فيقول: ﴿ولئن متم أو قتلتم﴾

---

(١) الغزو: قصد الشيء، والمغزى: المقصد، والمغزية: المرأة التي غزا زوجها، والنسبة إلى الغزو غزويّ.
(٢) والحسرة: شدة الأسف أي الحزن.
(٣) في نداء الله المؤمنين بعنوان الإيمان وهي صفة جامعة لهم فيه تلطف بعد تقريع فريق منهم وهم الذين تولوا عن القتال يوم التقى الجمعان.
(٤) اللاّم موطئة للقسم أي مؤذنة بان قبلها قسماً مقدّراً، واللام في ﴿المغفرة﴾ هي في جواب القسم الذي هو المغفرة
(٥) أهل الحجاز يقولون مِتم بكسر الميم نحو نمتم من نام ومات وغيرهم يقولون مُتم بضم الميم في متم ونمتم نحو كنتم وقلتم.
(٦) قرىء ﴿تجمعون﴾ بالتاء أي أنتم ايها المؤمنون ﴿ويجمعون﴾ بالياء أي الكافرون والمنافقون.

فى سبيلنا ﴿لإلى الله تحشرون﴾[1] حتما، وثم يتم لكم جزاؤنا على استشهادكم وموتكم في سبيلنا، ولنعم ما تجزون به فى جوارنا الكريم.

**هداية الآيات :**

١- حرمة التشبه بالكفار ظاهراً وباطناً.

٢- الندم يولد الحسرات والحسرة غم وكرب عظيمان، والمؤمن يدفع ذلك بذكره القضاء والقدر فلا يأسى على ما فاته ولا يفرح بما آتاه من حطام الدنيا.

٣- موتة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها.

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾

**شرح الآيتين :**

**لنت لهم** : كنت رفيقا بهم تعاملهم بالرفق واللطف.

**فظا**[2] : خشنا فى معاملتك شرسا فى اخلاقك وحاشاه ﷺ.

**انفضوا** : تفرقوا وذهبوا تاركينك وشأنك.

**فاعف عنهم** : يريد إن زلوا أو أساءوا.

**وشاورهم فى الأمر** : اطلب مشورتهم في الأمر ذى الأهمية كمسائل الحرب والسلم.

---

(١) فيه وعظ وعظهم الله به حيث أعلمهم أنهم سواء ما توا حتف أنوفهم أو قتلوا فإنّ رجوعهم إلى الله وسيجزيهم على قتالهم وموتهم في سبيل الله.

(٢) ومن صفاته ﷺ في التوراة كما في رواية البخاري أنه ﷺ ليس بفظٍ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، والغليظ القلب: من قلت شفقته وعزت رحمته كما قال الشاعر:

يُبكىٰ علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ أكباداً من الإبل

## معنى الآيتين :

ما زال السياق فى الآداب والنتائج المترتبة على غزوة أحد ففي هذه الآية (١٥٩) يخبر تعالى عما وهب رسوله من الكمال الخلقى الذى هو قوام الأمر فيقول: ﴿فبما[1] رحمة من الله﴾ أي فبرحمة[1] من عندنا رحمناهم بها لنت[2] لهم، ﴿ولو كنت فظاً﴾ أي قاسيا جافاً جافيا قاسى القلب غليظه ﴿لانفضوا من[3] حولك﴾ أي تفرقوا عنك، وحرموا بذلك سعادة الدارين. وبناء على هذا فاعف[4] عن مسيئهم، واستغفر لمذنبهم، وشاور ذوى الرأى منهم، وإذا بدا لك رأي راجح المصلحة فاعزم على تنفيذه متوكلا على ربك فإنه يحب المتوكلين، والتوكل الإقدام على فعل ما أمر الله تعالى به أو أذن فيه بعد إحضار الأسباب الضرورية له. وعدم التفكير فيما يترتب عليه بل يفوض أمر النتائج إليه تعالى.

هذا ما تضمنته الآية الأولى اما الآية الثانية (١٦٠) فقد تضمنت حقيقة كبرى يجب العلم بها والعمل دائما بمقتضاها وهى أن النصر بيد الله، والخذلان كذلك فلا يطلب نصر إلا منه تعالى، ولا يرهب خذلان الا منه عز وجل، وطلب نصره هو إنفاذ أمره بعد إعداد الأسباب اللازمة له، وتحاشي خذلانه تعالى يكون بطاعته والتوكل عليه هذا ما دل عليه قوله تعالى في هذه الآية ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده، وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

## هداية الآيتين

### من هداية الآيتين :

١ـ كمال رسول الله ﷺ الخلقى.

٢ـ فضل الصحابة رضوان الله عليهم وكرامتهم على ربهم سبحانه وتعالى.

٣ـ تقرير مبدأ المشورة[5] بين الحاكم وأهل الحل والعقد في الأمة.

---

(١) الميم صلة أي مزيدة لتوكيد الكلام وتقويته نحو قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ وقوله: ﴿عمّا قليل ليصبحُن نادمين﴾ وجند ما هنالك

(٢) وذلك لأنه ﷺ لم يعنّف الذين تولوا يوم أحد بل رفق بهم، فأخبر تعالى أنّ ذلك كان بتوفيق منه عزّ وجلّ لرسوله.

(٣) قيل يمنعهم الحياء والاحتشام والهيبة من القرب منك بعد ما كان من توليهم وهذا شأن أصحاب رسول الله ﷺ.

(٤) هذا الترتيب مقصود فأوّلاً يعفو عنهم لما كان بينه وبينهم، وثانيا: يستغفر الله لهم لما كان بينهم وبين ربهم من تبعات، وبعد هذا الإعداد يصبحون أهلاً للمشروة فيشاورهم.

(٥) الاستشارة مأخوذة من شرت الدابة إذا علمت خبرها كجري ونحوه، ويقال للموضع الذي تركض فيه المشوار. قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب. وقد قيل: ما ندم من استشار. ومن أعجب برأيه ضلّ، وقال رسول الله ﷺ: «ما ندم من استشار ولا خاب من استخار ولا عال من اقتصد».

٤ـ فضل العزيمة[1] الصادقة مقرونة بالتوكل على الله تعالى.

٥ـ طلب النصر من غير الله خذلان، والمنصور من نصره الله، والمخذول من خذله الله عز وجل.

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

## شرح الكلمات:

أن يغلّ : أي يأخذ من الغنيمة خفية، إذ الغلّ والغلول بمعنى السرقة من الغنائم قبل قسمتها.

تـوفـى : تجزى ما كسبته في الدنيا وافياً تاماً يوم القيامة.

رضوان الله : المراد به ما يوجب رضوانه من الإيمان والصدق والجهاد.

وسخط الله : غضبه الشديد على الفاسقين عن أمره المؤذين لرسوله ﷺ.

---

(١) من الحزم المشورة، والحزم: جودة النظر في الأمر وتنقيحه، والحذر من الخطأ فيه والعزم: قصد الإمضاء فيما حزم فيه، ومن مظاهر الحزم والعزم للرسول ﷺ أنه استشار أصحابه في الخروج إلى قتال المشركين خارج المدينة أو البقاء فيها والقتال داخلها ورأى عدم الخروج أصلح ورأى أكثر الأصحاب الخروج فوافقهم فدخل بيته فلبس آلات حربه وخرج فلما رأو كذلك تراجعوا واعتذروا، ولكنه أبى أن يتراجع فتجلى حزمه وعزمه، وقال: «لاينبغي لنبي لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه».

مَـــنَّ : أنعـــم وتفضـــل.

رسولا من أنفسهم : هو محمد صلى الله عليه وسلم.

يزكيـــهم : بما يرشدهم إليه من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والآداب العالية.

الحكمـــة : كل قول صالـح نافع أبداً ومنه السنة النبوية.

## معـــنى الآيـات :

الغل والغلول[1] والاغلال بمعنى واحد وهو أخذ المرء شيئاً من الغنائم قبل قسمتها وما دام السياق في غزوة أحـد فالمنـاسبـة قائمة بين الآيات السابقة وهذه، ففي الآية الأولى (١٦١) ينفى تعالى أن يكون من شأن الأنبياء أو مما يتأتى صدوره عنهم الإغلال وضمن تلك أن أتباع الأنبياء يحرم عليهم أن يغلوا، ولذا قرىء في السبع أن يُغَل بضم[2] الياء وفتح الغين أي يفعله اتباعه بأخذهم من الغنائم بدون إذنه. هذا معنى قوله تعالى: ﴿وما كان لنبيّ أن يغل﴾ ثم ذكر تعالى جزاء وعقوبةمن يفعل وقال: ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾ فأخبرهم تعالى أن من أغل شيئاً يأت به يوم القيامة يحمله حتى البقرة والشاة كما يُبِينَ ذلك في الحديث[3]، ثم يحاسب عليه كغيره ويجزى به، كما تجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر ولا تظلم نفس شيئاً لغنى الرب تعالى عن الظلم وعدله. هذا مضمون الآية الأولى أما الثانية (١٦٢) ينفي تعالى أن تكون حال المتبـع لرضوان الله تعالى بالإيمان به ورسوله وطاعتهما بفعل الأمر واجتناب النهى، كحال المتبع لسخط الله تعالى بتكذيبه تعالى وتكذيب رسوله ومعصيتهما بترك الواجبات وفعل المحرمات فكانت جهنم مأواه، وبئس المصير جهنم. هذا معنى قوله تعالى ﴿أفمن اتبع رضوان الله، كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ ثم ذكر تعالى أن كلاً من

---

(١) سمي الغلول غلولاً: لأنّ الأيدي فيها مغلولة أي ممنوعة كأنّ فيها غلاً وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه.

(٢) فتح الياء قراءة حفص وهي ردّ على من تصور أنّ النبي في إمكانه أن يأخذ شيئا من الغنيمة قبل قسمتها فأخبر تعالى أنّه من غير الممكن أن يغل النبي لعصمة الله تعالى لأنبيائه، وقراءة الضمّ قراءة نافع وهي تحرّم على أتباع النبي الغلول بصيغة بليغة إذ تجعل غلولهم من قبيل المتعذر الذي لا يحدث.

(٣) في صحيح مسلم أنّ أبا هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه، وعظم أمره ثم قال: «لا ألفيّن أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك.. ثم ذكر الفرس والشاة والنفس والرقاع» الرّقاع: جمع رُقعة، وهي ما يكتب عليها.

أهل الرضوان، وأصحاب السخط متفاوتون في درجاتهم[1] عند الله، بحسب أثر أعمالهم في نفوسهم قوة وضعفاً فقال: ﴿هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون﴾، فدل ذلك على عدالة العليم الحكيم. هذا ما دلت عليه الآية (١٦٣) أما الآية الأخيرة (١٦٤) فقد تضمنت امتنان الله تعالى على المؤمنين من العرب ببعثه رسوله فيهم، يتلو عليهم آيات الله فيؤمنون ويكملون في إيمانهم ويزكيهم من أوضار الشرك وظلمة الكفر بما يهديهم به، ويدعوهم إليه من الإيمان وصالح الأعمال وفاضل الأخلاق وسامى الآداب، ويعلمهم الكتاب المتضمن للشرائع والهدايات والحكمة التى هى فهم أسرار الكتاب، والسنة، وتتجلى هذه النعمة أكثر لمن يذكر حال العرب في جاهليتهم قبل هذه النعمة العظيمة عليهم هذا معنى قوله تعالى في الآية الأخيرة: ﴿لقد منّ[2] الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم[3] يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١ـ تحريم[4] الغلول[5] وأنه من كبائر الذنوب.

٢ـ طلب رضوان الله واجب، وتجنب سخطه واجب كذلك، والأول يكون بالإيمان وصالح الأعمال والثاني يكون بترك الشرك والمعاصي.

٣ـ الاسلام أكبر نعمة وأجلها على المسلمين فيجب شكرها بالعمل به والتقيد بشرائعه وأحكامه.

٤ـ فضل العلم بالكتاب والسنة.

---

(١) المشهور أنّ أهل النار في دركات متفاوتة كما أنّ أهل الجنة في درجات متفاوتة فالدرجة ما أريد بها الارتفاع والدركة ما أريد بها السفول والهبوط.

(٢) مَنّ هنا بمعنى أسدى النعمة للمؤمنين ببعثة الرسول فيهم وليس هو من المنّ المذموم الذي هو تعداد النعمة إلاّ أن الله تعالى له أن يمنّ وهو أمنّ مِنْ كل مَنْ مَنّ وأعطى.

(٣) قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذه للعرب خاصة: إذ فهمت من كلمة ﴿من أنفسهم﴾ أنها تعني من جنسهم العربي، وبعضهم يرى العموم فيها لكل مؤمن ومؤمنة، وهو كذلك إذ هو بشر مثلهم.

(٤) شاهده قوله ﷺ في الذي غلّ الشملة يوم خيبر: «والذي نفسي بيده إنّ الشملة التي أخذ يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً» ولمّا سمع هذا الوعيد أحد الأصحاب جاء بشراك أو شراكين إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «شراك أو شراكين من نار» رواه مالك في الموطأ.

(٥) الإجماع على أنّ الغال لا تقطع يده ولكن يعزر، والغلول لا يكون إلاّ في الغنائم وسمى الرسول ﷺ هدايا العمال غلولا ويفضحون بها يوم القيامة لحديث مسلم في قصة ابن اللتبية.

أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾

## شرح الكلمات :

المصيبة : إحدى المصائب: ما يصيب الإنسان من سوء وأسوأها مصيبة الموت.

مثليها : ضعفيها اذ قتلوا في بدر سبعين من المشركين وأسروا[1] سبعين.

أنى هذا؟ : أي من أين أتانا هذا الذي أتانا من القتل والهزيمة.

فبإذن الله : أي بإرداته تعالى وتقديره بربط المسببات بأسبابها.

نافقوا : أظهروا من الإيمان مالا يبطنون من الكفر.

أو ادفعوا : أي ادفعوا العدو عن دياركم وأهليكم وأولادكم، ان لم تريدوا ثواب الآخرة.

ادرأوا : أي إدفعوا.

إن كنتم صادقين : في دفع المكروه بالحذر.

---

(١) اعتبر الأسير قتيلا لأن الآسر له يملك قتله متى شاء، فلذا قال تعالى: ﴿قد أصبتم مثليها﴾.

## معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في أحداث غزوة أحد ففي الآية الأولى: ينكر الله تعالى على المؤمنين قولهم بعد أن أصابتهم بمصيبة القتل والجراحات والهزيمة: ﴿أنى هذا﴾[1] أي من أي وجه جاءت هذه المصيبة ونحن مسلمون ونقاتل في سبيل الله ومع رسوله؟ فقال تعالى: ﴿أولما[2] أصابتكم مصيبة﴾ بأحد قد أصبتم مثليها ببدر لأن ما قتل من المؤمنين بأحد كان سبعين، وما قتل من المشركين ببدر كان سبعين قتيلا وسبعين أسيراً، وأمر رسوله ﷺ أن يُجيبهم: قل هو من عنـد أنفسكم، وذلـك بمعصيتكم لرسول الله حيث خالف الرماة أمره، وبعدم صبركم إذ فررتم من المعركة تاركين القتال. وقوله ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ إشعار بأن الله تعـالى أصـابهم بها أصابهم به عقوبة لهم حيث لم يطيعوا رسوله ولم يصبروا على قتال أعدائه. هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٦٥) أما الآيات الثلاث بعدها فقوله تعالى: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين﴾ يخبر تعالى المؤمنين أن ما أصابهم يوم أحد عند التقاء جمع المؤمنين وجمع المشركين في ساحة المعركة كان بقضاء الله وتدبيره، وعلته إظهار المؤمنين على صورتهم الباطنية الحقة وانهم صادقون في إيمانهم، ولذا قال تعالى وليعلم المؤمنين علم انكشاف وظهور كما هو معلوم له في الغيب وباطن الأمور هذا أولا وثانيا ليعلم الذين نافقوا فأظهروا الإيمان والولاء لله ولرسوله والمؤمنين ثم أبطنوا الكفر والعداء لله ورسوله والمؤمنين فقال عنهم في الآيتين الثالثة (١٦٧) والرابعة (١٦٨) ﴿وليعلم الذين نافقوا﴾ وهم عبدالله بن ابى بن سلول رئيس المنافقين وعصابته الذين رجعوا من الطريق قبل الوصول إلى ساحة المعركة، وقد قال لهم عبدالله بن حرام والد جابر تعالوا قاتلوا في سبيل الله رجاء ثواب الآخرة، وان لم تريدوا ثواب الآخرة فادفعوا عن أنفسكم واهليكم معرة جيش غاز يريد قتلكم إذ وقوفكم معنا يكثر سوادنا ويدفع عنا خطر العدو الداهم فأجابوا قائلين: لو نعلم قتالا سيتم لاتبعانكم، فأخبر تعالى عنهم بأنهم في هذه الحال ﴿هم للكفر أقرب منهم للإيمان﴾ إذ يقـولـون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ﴿والله أعلم بما يكتمون﴾ حتى من أنفسهم يعلم أنهم يكتمون عداوة الله ورسوله والمؤمنين وارادة السوء بالمؤمنين، وأن قلوبهم

---

(١) أنى هذا: جملة اسمية فأنى بمعنى اين وهو الخبر مقدم، وهذا مبتدأ مؤخر.

(٢) الاستفهام هنا للإنكار والتعجب لأن قولهم ﴿أنى هذا﴾ مما ينكر ويتعجب منه وذلك أن سبب المصيبة غير خاف ولا غامض فهو ظاهر مكشوف، وهو عصيانهم للقيادة بمخالفة أمرها، ولما: اسم زمان مضمن معنى الشرط وقلتم: هو الجزاء.

مع الكافرين الغازين. ثم أخبر تعالى عنهم أنهم قعدوا عن الجهاد فى أحد وقالوا لإخوانهم فى النفاق ـ وهم فى مجالسهم الخاصة ـ :ـ لو أنهم قعدوا فلم يخرجوا كما لم نخرج نحن ما قتلوا. فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم قائلا: ﴿فادرءوا﴾[1] أي ادفعوا عن أنفسكم الموت إذا حضر أجلكم إن كنتم صادقين فى دعواكم أنهم لو قعدوا ما قتلوا.

**من هداية الآيات :**

١ـ المصائب[2] ثمرة الذنوب.

٢ـ كل الأحداث التي تتم في العالم سبق بها علم الله، ولا تحدث إلا بإذنه.

٣ـ قد يقول المرء قولا أو يظن ظنا يصبح به على حافة هاوية الكفر.

٤ـ الحذر لا يدفع[3] القدر.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

**شرح الكلمات :**

ولا تحسبن : ولا تظنن.

قتلوا : استشهدوا.

أحياء : يُحسون ويتنعمون في نعيم الجنة بالطعام والشراب.

---

(١) هذا ردّ على ابن أبيّ كبير المنافقين وسيدهم الذي قال: لو أطاعونا ما قُتلوا.

(٢) قال تعالى من سورة الشورى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ أي من الذنوب والمعاصي.

(٣) ومع أنّه لا يدفع القدر فإنّ استعماله واجب لقوله تعالى ﴿خذوا حذركم﴾.

فرحــــــين : مســـــرورين.

لا خوف عليهم : لما وجدوا من الأمن التـام عند ربهم.

ولا هم يحزنون : على ما خلفوا وراءهم في الدنيا لما نالهم من كرامة في الجنة.

يستبشرون : يفرحـــون

وفضـــل : وزيـــادة.

## معنى الآيـات :

ما زال السياق في الحديث عن غزوة أحد فقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ولا تحسبن﴾[1] أي لا تظنن الـذين استشهدوا من المؤمنين في أحد وغيرها أمواتا لا يحسون ولا يتنعمون بطيب الرزق ولذيذ العيش بل هم أحياء عند ربهم يرزقون أرواحهم في حواصل طير خضر يأكلون من ثمار الجنة ويأوون إلى قناديل معلقة بالعرش. إنهم فرحون بما أكرمهم[2] الله تعالى به، ويستبشرون بإخوانهم المؤمنين الذين خلفوهم في الدنيا على الإيمان والجهاد بأنهم إذا لحقوا بهم لم يخافوا ولم يحزنوا لأجل ما يصيرون إليه من نعيم الجنة وكرامة الله تعالى لهم فيها. إن الشهداء جميعا مستبشرون فرحون بما ينعم[3] الله عليهم ويزيدهم وبأنه تعالى لا يضيع أجر المؤمنين شهداء وغير شهداء بل يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله.

## هدايـة الآيـات

### من هداية الآيـات :

١ـ الشهداء أحياء والمؤمنون أحياء في الجنة غير أن حياة الشهداء أكمل.

٢ـ الشهداء[4] يستبشرون بالمؤمنين الذين خلفوهم على الإيمان والجهاد بأنهم اذا لحقوا بهم نالهم من الكرامة والنعيم ما نالهم هم قبلهم.

---

(١) روى أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقامهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله سبحانه: أنا ابلغهم عنكم فأنزل الله ﴿ولا تحسبن﴾ الآية».

(٢) مما ورد في فضل الشهيد أنّ الله تعالى يغفر له كل ذنب أذنبه إلاّ الدين لقوله ﷺ: «القتيل في سبيل الله يكفر كل شيء إلاّ الدين كذلك قال لي جبريل عليه السلام آنفا». قال العلماء: الدَين يشمل كل الحقوق المتعلقة بالذمة.

(٣) روى الترمذي وصححه أن النبي ﷺ قال: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له فـي دفعـة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجه من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه».

(٤) الإجماع على أن شهيد المعركة بين الكفار والمسلمين أنه لايغسل ولا يصلى عليه لحديث البخاري. «وادفنوهم بدمائهم» يعني شهداء أحد ولم يغسلهم والعلة في عدم غسلهم أن دماءهم تأتي يوم القيامة كريح المسك.

٣ـ لا خوف ينال المؤمن الصالح إذا مات ولا حزن يصيبه.

ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ
أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾
فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟
رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

## شرح الكلمات:

| | |
|---|---|
| استجابوا [1] | : اجابوا الدعوة وقبلوا الأمر. |
| القرح [2] | : ألم الجراحات. |
| أحسنوا | : أعمالهم واقوالهم أتوا بها وفق الشرع واحسنوا الى غيرهم. |
| اتقوا | : ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه فيما أمرهم به أو نهاهم عنه. |
| جمعوا لكم | : جمعوا الجيوش لقتالكم. |
| حسبنا الله | : يكفينا الله ما أرادونا به من الأذى. |
| ونعم الوكيل | : نعم الوكيل الله نوكل إليه أمورنا ونفوضها اليه. |
| انقلبوا | : رجعوا من حمراء الأسد الى المدينة. |
| اولياء الشيطان | : أهل طاعته والاستجابة اليه فيما يدعوهم إليه من الشر والفساد. |

(١) قيل إن هذه الآية: ﴿الذين استجابوا..﴾ الخ نزلت في رجلين من بني الأشهل كانا مثخنين بالجراح وخرجا إلى حمراء الأسد مع رسول الله ﷺ يتوكأ أحدهما على صاحبه.

(٢) أخرج أصحاب الصحاح عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت له كان أبواك من الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح، وتعني بأبويه الزبير، وأبا بكر الصديق رضي الله عنهما.

## معنى الآيـات :

مازال السياق فى أحداث غزوة أحد وما لابسها من أمور وأحوال والآيات الأربع كلها في المؤمنين الذين حضروا غزوة أحد يوم السبت وخرجوا فى طلب أبى سفيان يوم الأحد وعلى رأسهم نبيهم محمد ﷺ، وذلك أن النبي ﷺ رأى أن يرفع معنويات أصحابه الذين كُلِموا وهزموا يوم السبت بأحد، وأن يرهب أعداءهُ فأمر مؤذناً يؤذن بالخروج فى طلب أبى سفيان وجيشه، فاستجاب المؤمنون وخرجوا وإن منهم للمكلوم المجروح، وإن أخوين جريحين كان أحدهما يحمل أخاه على ظهره فاذا تعب وضعه فمشى قليلا، ثم حمله حتى انتهى رسول الله ﷺ وأصحابه إلى حمراء الأسد، وألقى الله تعالى الرعب في قلب أبى سفيان فارتحل هارباً الى مكة، وقد حدث هنا أن معبداً الخزاعى[1] مر بمعسكر أبي سفيان فسأله عن الرسول فأخبره أنه خرج فى طلبكم وخرج معه جيش كبير وكلهم تغيظ عليكم، أنصح لك أن ترحل فهرب برجاله خوفاً من رسول الله ﷺ وأصحابه، فأقام الرسول ﷺ بحمراء الأسد برجاله كذا ليلة ثم عادوا لم يمسسهم سوء وفيهم نزلت هذه الآيات الأربع وهذا نصها:

الآية (١٧٢) ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾ يريد فى أحد واستجابوا: لبوا نداء الرسول ﷺ وخرجوا معه فى ملاحقة أبى سفيان، ﴿للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ ولكل من أحسن واتقى أجر عظيم، ألا وهو الجنة الآية الثانية (١٧٣) ﴿الذين قال لهم الناس[2] إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾. المراد من الناس القائلين هم نفر من عبدالقيس مروا بأبي سفيان وهو عازم على العودة الى المدينة لتصفية المؤمنين بها فى نظره فقال له أبو سفيان أخبر محمداً وأصحابه أنى ندمت على تركهم أحياء بعدما انتصرت عليهم وإنى جامع جيوشي وقادم عليهم، والمراد من الناس الذين جمعوا هم أبوسفيان فلما بلغ هذا الخبر الرسول ﷺ وأصحابه زادهم[3] إيماناً فوق إيمانهم بنصر الله تعالى وولايته لهم، وقالوا : حسبنا الله أي يكفينا الله شرهم، ونعم الوكيل الذى يكفينا ما أهمنا

---

(١) لأنّ خزاعة كانت حلفاء لرسول الله ﷺ وعيبة نصحه أي موضع سرّه.

(٢) روى البخاري عن ابن عباس أنّه قال في قوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ إلى ﴿ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم الخليل عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم.

(٣) الذي زادهم إيمانا هو قول الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم، وهل الإيمان يزيد وينقص؟ الخلاف قديم في هذه القضية. والقول الذي تشهد له نصوص الكتاب والسنة هو أنّ الإيمان يقوى ويضعف فإذا قوي زاد عمل المؤمن في الطاعات بفعل الحسنات وترك السيئات وإذا ضعف قلّ عمله الصالح وزاد عمله الطالح فيستدل على الإيمان قوة وضعفاً بمتعلّقه وهو الطاعة والمعصية.

ونفـوض أمرنا إلى الله. الآية الثالثة (١٧٤) ﴿فانقلبوا﴾ أي رجعوا من حمراء الأسد لأن أباسفيان القى الله الرُّعْب في قلبه فانهزم وهرب، رجعوا مع نبيهم سالمين فى نعمة الإيمان والاسلام والنصر، ﴿وفضل﴾ حيث أصابوا تجارة في طريق عودتهم ﴿لم يمسسهم سوءٌ﴾ أى أذى، ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ بالاستجابة لما دعاهم الله ورسوله وهو الخروج في سبيل الله لملاحقة أبي سفيان وجيشه. وقوله تعالى: ﴿والله ذو فضل عظيم﴾ وما أفاضه على رسوله كاف فى التدليل عليه الآية الرابعة (١٧٥) ﴿إنَّما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه[1] فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين﴾، وذلك أن وفد عبدالقيس آجره أبوسفيان بكذا حمل من زبيب إن هو خوف المؤمنين منه فبعثه كأنه (طابور) يخذل له المؤمنين إلا أن المؤمنين عرفوا أنها مكيدة وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فنزلت الآية: ﴿إنما ذلكم الشيطان﴾ الناطق على لسان النفر من عبدالقيس يخوف المؤمنين من أوليائه أبى سفيان وجمعه، فلا تخافوهم فنهاهم عن الخوف منهم وأمرهم أن يخافوه[2] تعالى فلا يجبُنُوا ويخرجوا الى قتال أبى سفيان وكذلك فعلوا لأنهم المؤمنون بحق رضى الله عنهم أجمعين.

## هداية الآيـات

### من هدايـة الآيات

١ـ فضل الإحسان والتقوى وأنهما مفتاح كل خير.

٢ـ فضل أصحاب رسول الله على غيرهم، وكرامتهم على ربهم.

٣ـ فضل كلمة «حسبنا الله ونعم الوكيل»[3] قالها رسول الله وقالها ابراهيم من قبل فصلى الله عليهما وسلم.

٤ـ بيان أن الشيطان يخوف[4] المؤمنين من أوليائه، فعلى المؤمنين أن لا يخافوا غير ربهم تعالى فى الحياة، فيطيعونه ويعبدونه ويتوكلون عليه، وهو حسبهم ونعم الوكيل لهم.

---

(١) معنى يخوف أولياءه أنه يخوف المؤمنين بأوليائه وهم المشركون وذلك على لسان نعيم بن مسعود الذي آجره أبو سفيان ليخوف المؤمنين بعزم أبي سفيان على الكرّة عليهم لاستئصالهم وإبادتهم.

(٢) الخوف من الله تعالى أمر الله به وهو واجب على كل مؤمن وحقيقته: أن يترك العبد ما يخاف أن يعذب عليه وقيل ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه وإنما مَنْ يترك ما يخاف أن يعذّب به.

(٣) الوكيل: فعيل بمعنى مفعول أي: الموكول إليه الأمر.

(٤) الشيطان يكون من الجنّ ومن الإنس فإن كان من الجنّ فتخويفه يكون بواسطة الوساوس، وإن كان من شياطين الإنس فتخويفه يكون بالكلام الشفوي الذي ظاهره النصح وباطنه الخداع والغش.

وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾

## شرح الكلمات :

الحزن : غمّ يصيب النفس لرؤية أو سماع ما يسوءه ويكرهه

الكفر : الكفر تكذيب الله تعالى ورسوله فيما جاء به الرسول وأخبر به.

يسارعون : يبادرون.

حظا : نصيباً.

اشتروا الكفر : اعتاضوا الكفر عن الايمان.

نملي هم : الإملاء: الإمهال والارخاء بعدم البطش بهم وترك الضرب على أيديهم بكفرهم.

إثما : الإثم: كل ضار قبيحٍ ورأسه: الكفر والشرك.

## معنى الآيات :

مازال السياق في أحداث غزوة أحد ففي هذه الآيات الثلاث - وقد كشفت الأحداث عن أمور خطيرة حيث ظهر النفاق مكشوفا لا ستار عليه، وحصل من ذلك ألم شديد لرسول الله ﷺ والمؤمنين - يخاطب الله تعالى رسوله قائلا له: لا يحزنك[1] مسارعة هؤلاء المنافقين[2] في

(١) قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الراء من أحزن يحزن في كل القرآن، إلاّ قوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ وقرأ الجمهور يحزنك بفتح الياء وضم الزاي.

(٢) قيل في هؤلاء المسارعين في الكفر إنهم المنافقون وقيل هم كفار قريش وقيل هم اليهود، واللفظ يشمل كل ذلك إذ الفئات الثلاث كلها كانت تسارع في الكفر بنصرته والعمل فيه وبه

الكفر، وقال فى الكفر ولم يقل الى الكفر إشارة إلى أنهم ما خرجوا منه لأن اسلامهم كان نفاقا فقط، ﴿إنهم لن يضروا الله شيئا﴾، والله يريد أن لايجعل لهم نصيباً من نعيم الآخرة فلذا تركهم فى كفرهم كلما خرجوا منه عادوا إليه، وحكم عليهم بالعذاب العظيم فقال: ﴿ولهم عذاب عظيم﴾. هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٧٦). أما الآية الثانية (١٧٧) فقد تضمنت حكم الله تعالى على الذين يرتدون بعد إيمانهم فيبيعون الإيمان بالكفر، ويشترون الضلالة بالهدى حكم عليهم بأنهم لن يضروا الله شيئا[١] من الضرر، ولهم عذاب أليم فقال تعالى: ﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا[٢] ولهم عذاب أليم﴾ والعذاب الأليم هو عذاب النار إذ لا آلم ولا أشد إيجاعاً منه.

وأما الآية الثالثة (١٧٨) فقد تضمنت بطلان حسبان الكافرين أن الله تعالى عندما يمهلهم ويَمُدّ فى أعمارهم ولم يعاجلهم بالعذاب أن ذلك خيرٌ لهم، لا، بل هو شر لهم، إذ كلما تأخروا يوما اكتسبوا فيه إثمًا فبقدر ما تطول حياتهم يعظم ذنبهم وتكثر آثامهم، وحيئنذ يوبقون ويهلكون هلاكاً لا نظير له قال تعالى: ﴿ولا يحسبنّ الذين كفروا أنّما نملى[٣] لهم خير لأنفسهم، إنما نملى لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب مهين﴾ أي ذو إهانة، لأنهم كانوا ذوى كبر وعلو في الأرض وفساد، فلذا ناسب أن يكون فى عذابهم اهاناتٌ لهم.

## هدايـة الآيات

**من هداية الآيات:**

١ـ لا ينبغى للمؤمن أن يُحزنه كفر كافرٍ ولا فسق فاسق، لأن ذلك لا يضر الله تعالى شيئاً، وسيجزى الله الكافر والفاسق بعدله.

٢ـ لا ينبغى للعبد أن يغره إمهال الله له، وعليه أن يبادر بالتوبة من كل ذنب إذ ليس هناك إهمال وإنما هو إمهال.

٣ـ الموت للعبد خير[٤] من الحياة، لأنه إذا كان صالحاً فالآخرة خير له من الدنيا وإن كان غير

---

(١) ﴿لن يضروا الله شيئا﴾ من الضرر لا في ذاته ولا في دينه ولا في ملكه وسلطانه ولا رسوله، وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم: «ياعبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضرونى ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني».

(٢) كرّر لفظ ﴿لن تضروا الله شيئا﴾ لأجل التأكيد والتقرير حتى ييأس المنافقون والكافرون من إلحاق أي ضرر برسول الله ﷺ وبدعوته وشيئا: منصوب على المصدرية أي: لن يضروا الله ضررا قليلاً ولا كثيراً.

(٣) فسر الإملاء بطول العمر ورغد العيش، وهو كذلك مع إضافة عدم معاجلتهم بالعقوبة انظاراً لهم لا إهمالا.

(٤) شاهده قول ابن مسعود رضي الله عنه ما مِنْ أحد برٌ ولا فاجر إلاّ والموت خير له لأنّه إن كان براً فقد قال الله تعالى: ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ وإن كان فاجراً فقد قال تعالى: ﴿إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ وروي مثله عن ابن عباس أخرجه رزين.

ذلك حتى لا يزداد اثما فيوبق بكثرة ذنوبه .

مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

## شرح الكلمات :

ليذر : ليترك :

يميز : يميز ويبين .

الخبيث : من خبثت نفسه بالشرك والمعاصى .

الطيب : من طهرت نفسه بالإيمان والعمل الصالح .

الغيب : ما غاب فلم يدرك بالحواس .

يجتبي : يختار ويصطفي .

يبخلون[1] : يمنعون ويضنون .

يطوقون به : يجعل طوقا فى عنق أحدهم .

## معنى الآيتين :

مازال السياق فى أحداث وقعة أحد ، وما لازمها من ظروف وأحوال فاخبر تعالى في هذه الآية (١٧٩) انه ليس من شأنه تعالى أن يترك المؤمنين على ما هم عليه فيهم المؤمن الصادق

(١) البخل بضم الباء واسكان الخاء ، والبخل بفتح الباء والخاء معاً هو أن يمنع الإنسان الحق الواجب عليه من زكاة أو ضيافة أو إطعام جائع ، وستر عارٍ ولم يوجد من يقوم به سواه ومالا فلا يقال فيه بخيل شرعاً .

في إيمانه، والكاذب فيه وهو المنافق. بل لابد من الابتلاء بالتكاليف الشاقة منها كالجهاد والهجرة والصلاة والزكاة، وغير الشاقة من سائر العبادات حتى يميز المؤمن الصادق وهو الطيب الروح، من المؤمن الكاذب وهو المنافق الخبيث الروح، قال تعالى [1] ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ وذلك أن الله لم يكن من سنته في خلقه أن يطلعهم على الغيب فيميزُ المؤمن من المنافق، والبار من الفاجر، وانما يبتلى بالتكاليف ويظهر بها المؤمن من الكافر والصالح من الفاسد. إلا أنه تعالى قد يجتبي من رسله من يشاء فيطلعه على الغيب، ويظهره على مواطن الأمور وبناء على [2] هذا فآمنوا بالله ورسوله حق الإيمان، فإنكم إن آمنتم صادق الإيمان واتقيتم معاصي الرحمان كان لكم بذلك أعظم الأجور وهو الجنة دار الحبور والسرور هذا ما دلت عليه الآية (١٧٩) أما الآية الثانية (١٨٠) فإن الله تعالى يخبر عن خطا البخلاء الذين يملكون المال ويبخلون به فيقول: ولا يحسبنَّ أي ولا يظنن الذين يبخلون بما آتاهم الله من المال الذي تفضل الله به عليهم أن بخلهم به خير لأنفسهم كما يظنون بل هو أى البخل شرٌ لهم، وذلك لسببين الأول ما يلحقهم فى الدنيا من معرة البخل وآثاره السئية على النفس، والثانى أن الله تعالى سيعذبهم به بحيث يجعله طوقاً من نار في أعناقهم، أو بصورة ثعبان فيطوقهم [3]، ويقول لصاحبه: «أنا مالك أنا كنزك» كما جاء في الحديث. فعلى من يظن هذا الظن الباطل ان يعدل عنه، ويعلم أن الخير فى الإنفاق لا فى البخل. وأن ما يبخل به هو مال الله، وسيرثه، ولم يجن البخلاء إلا المعرة فى الدنيا والعذاب في الآخرة. قال تعالى: ﴿ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾، فاتقوه فيما آتاكم فآتوا زكاته وتطوعوا بالفضل فإن ذلك خير لكم. والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

---

(١) روي أن الآية نزلت إجابة لمن طالبوا بعلامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق، فأجابهم الله تعالى بأنه ليس من شأنه أن يترك المؤمنين على ما هم عليه في اختلاطهم مع المنافقين حتى ينزلِ من الشرائع والتكاليف ما يميز بفعله وتركه المؤمن من المنافق.

(٢) إذ العبرة ليست بمعرفة الغيب وإنما العبرة بالنجاة من النار والفوز بالجنة وعليه فأعرضوا عن المطالبة بمعرفة الغيب وأقبلوا على ما يحقق لكم نجاتكم وسعادتكم.

(٣) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ـ ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك ثم تلا هذه الآية: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون...﴾ الآية

## هداية الآيتين

**من هداية الآيتين :**

١ـ من حِكم التكليف اظهار المؤمن الصادق من المؤمن الكاذب .

٢ـ استئثار الرب تعالى بعلم الغيب دون خلقه الا ما يطلع عليه رسله لحكمة اقتضت ذلك .

٣ـ ثمن الجنة الإيمان والتقوى .

٤ـ البخل بالمال شر لصاحبه، وليس بخير له كما يظن البخلاء .

٥ـ من أوتي مالاً ومنع حق الله فيه عذب به يوم القيامة دلت على ذلك هذه الآية وآية التوبة[1] وحديث البخاري : «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه ـ أي شدقيه ـ يقول أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا الآية ﴿ولا يحسبن الذين . . . ﴾ الآية» .

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

---

(١) هي قوله تعالى : ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ .

## شـرح الكلمـات :

| | |
|---|---|
| عذاب الحريـق[1] | : هو عذاب النار المحرقة تحرق أجسادهم . |
| ذلك بما قدمت أيديهم | : أي ذلك العذاب بسبب ما قدمته أيديكم من الجرائم . |
| عهـد الينـا | : أمرنا ووصانا في كتابنا (التوراة) . |
| ان لا نؤمن لرسول | : أي لا نتابعه، على ما جاء به ولا نصدقه في نبوته . |
| بقربان تأكله النار | : القربان : ما يتقرب به الى الله تعالى من حيوان وغيره يوضع في مكان فتنزل عليه نار بيضاء من السماء فتحرقه . |
| البيـــنات | : الآيـات والمعــجزات . |
| وبالذى قلتم | : أي من القربـان . |
| فلم قتلتموهم | : الاستفهام للتوبيخ ، وممن قتلوا من الأنبياء زكريا ويحيى عليهما السلام . |
| الزبـــــر | : جمع زبور وهو الكتاب كصحف ابراهيم . |
| الكتاب المنير | : الواضح البين كالتوراة والزبور والإنجيل . |

## معنى الآيـات :

لما نزل قول الله تعـالى : ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له﴾ ودخل أبوبكر الصديق رضى الله عنه بيت (المدراس)[2] واليهود به وهم يستمعون لأكبر علمائهم وأجل أحبارهم فنحاص فدعاه أبوبكر الى الإسلام ، فقال فنحاص : إن رباً يستقرض نحن أغنى منه! ينهانا صاحبك عن الربا ويقبله فغضب أبوبكر رضي الله عنه وضرب اليهودى فجـاء الى رسـول الله ﷺ فشكـا أبـابكر فسأل الرسول أبابكر قائلا : «ما حملك على ما صنعت»؟ فقال إنه قال : إن الله فقير ونحن أغنياء فأنكر اليهودى فأنزل[3] الله تعالى الآية ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق﴾ ، أي نكتبه أيضا ، ونقول لهم : ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ ، وقولنا ذلك بسبب ما

---

(١) الحريق : اسم للملتهبة من النار، إذ النار تشمل الملتهبة وغير الملتهبة .

(٢) بيت المعلم من بنى اسرائيل .

(٣) إنّ من نزلت فيهم الآية لم يقتلوا الأنبياء ، وإنما قتلهم سلفهم ، ولكن برضاهم عن أسلافهم وما صنعوا كان حكمهم حكم مَنْ قتل لأنّ الرضا بالمعصية معصيةٌ . روي أن رجلاً حسّن قتل عثمان عند الشعبي فقال له الشعبي شركت في دمه فجعل الرضا بالقتلِ قتلا .

قدمته أيديكم من الشر والفساد، وأن الله ليس بظلام للعبيد، فلم يكن جزاؤكم مجافيا للعدل ولا مباعدا له أبداً لتنزه الرب تعالى عن الظلم لعباده هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٨١) ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ والآية الثانية (١٨٢) ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ وأما الآية الثالثة (١٨٣) وهى قوله تعالى: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾؟ فقد تضمنت دعوى يهودية كاذبة باطلة لا صحة لها البتة، والرد عليها فالدعوى هى قولهم إنّ الله[1] قد أمرنا موصياً لنا أن لا نؤمن لرسول فنصدقه ونتابعه على ما جاء به، حتى يأتينا بقربان تأكله النار، يريدون صدقة من حيوان أو غيره توضع أمامهم فتنزل عليها نار من السماء فتحرقها فذلك آية نبوته، وأنت يا محمد ما اتيتنا بذلك فلا نؤمن بك ولا نتابعك على دينك، وأما الرد فهو قول الله تعالى لرسوله ﷺ قل يا رسولنا: ﴿قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات﴾ وهى المعجزات، ﴿وبالذى قلتم﴾ وهو قربان تأكله النار فلم قتلتموهم، إذ قتلوا زكريا ويحيى وحاولوا قتل عيسى، إن كنتم صادقين فى دعواكم؟ وأما الآية الرابعة (١٨٤) فانها تحمل العزاء لرسول الله ﷺ إذ يقول له ربه تعالى: ﴿فإن كذبوك﴾ فلم يؤمنوا بك، فلا تحزن ولا تأسى لأنك لست وحدك الذى كُذبت، فقد كذبت رسل كثر كرام، جاءوا أقوامهم بالبينات أي المعجزات، وبالزبر، والكتاب المنير كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وكذبتهم أممهم كما كذبك هؤلاء اليهود والمشركون معهم فاصبر ولا تحزن.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات:**

١ـ كفر اليهود وسوء أدبهم مع الله تعالى ومع أنبيائهم ومع الناس أجمعين.

٢ـ تقرير جريمة قتل اليهود للأنبياء وهى من أبشع الجرائم.

---

(١) روى القرطبي عن الكلبي أنّ هذه الآية نزلت ردّاً على كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وفنحاص بن عزريا أتوا النبي ﷺ فقالوا له: أتزعم أنّ الله ارسلك إلينا وأنه أنزل علينا كتاباً عهد إلينا فيه أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فإن جئتنا به صدّقناك. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٣ـ بيان كذب اليهود في دعواهم أن الله عهد إليهم أن لا يؤمنوا بالرسول حتى[1] يأتيهم بقربان تأكله النار.

٤ـ تعزية الرسول ﷺ وحمله على الصبر والثبات أمام ترهات اليهود وأباطيلهم.

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

شرح الكلمات:

ذائقة الموت[2] : أي ذائقة موت جسدها أما هي فانها لا تموت.

توفون : تعطون جزاء أعمالكم خيراً أو شراً وافية لا نقص فيها.

زحزح : نجّي وأبعد.

فاز : نجا من مرهوبه وهو النار، وظفر بمرغوبه وهو الجنة.

متاع الغرور[3] : المتاع كل ما يستمتع به، والغرور: الخداع، فشبهت الدنيا بمتاع خادع غارٍّ صاحبه، لا يلبث أن يضمحل ويذهب.

---

(١) وإن صحت دعواهم في التوراة فإن فيها استثناء عيسى ومحمد ﷺ أو هي منسوخة في الإنجيل، ولكن ما ردّ الله تعالى به عليهم لا يتطلب مزيد حجج فإنه قاطع مفحم مسكت ونصّ التوراة تمامه: «حتى يأتيكما المسيح ومحمد فإذا أتياكما فآمنوا بهما من غير قربان».

(٢) قرىء ذائقة الموت بالإضافة، وذائقة الموت بدونها، والأولى قراءة العامة، وهذا مما لا محيص للإنسان عنه، قال أمية بن الصلت: من لم يمت عبطة يمت هرماً للموت كأس والمرأ ذائقها

ومعنى عبطة: شاباً وللموت علامات من أبرزها عرق الجبين، وفي الحديث: «المؤمن يموت بعرق الجبين» فإذا شوهدت لقن الميت لقوله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله».

(٣) يوضح معنى متاع الغرور: قوله ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليمّ فلينظر بم ترجع إليه» والغرور مصدر إضيف إليه المتاع، فالمتاع ما يتمتع به ثم يضمحل وكونه للغرور زاد في التحذير منه فلذا قال فيها قتادة: الدنيا متاع متروك يوشك أن تضمحل بأهلها.

لتبلَوُنّ فى أموالكم

وأنفسكم : لَتُخْتَبَرُنّ في أموالكم بأداء الحقوق الواجبة فيها، أو بذهابها وأنفسكم بالتكاليف الشاقة كالجهاد والحج ، او المرض والموت.

اوتوا الكتـاب : اليهود والنصـارى.

الذين اشـركوا : العـــرب.

فان ذلك من عزم الأمور : يريد أن الصبر والتقوى من الأمور الواجبة التى هى عزائم وليس فيها رخص ولا ترخيص بحال من الأحوال.

## معنى الآيات :

ما زال السياق فى تعزية الرسول ﷺ وأصحابه لقد جاء في الآية السابقة تسلية الرسول ﷺ عما آلمه من تكذيب اليهود والمشركين له، وفي هذه الآية أعظم تسلية وعزاء، إذ أخبر تعالى فيها بأن كل نفس مهما علت أو سفلت ذائقة الموت[(١)] لا محالة، وإن الدنيا ليست دار جزاء وإنما هى دار كسب وعمل، ولذا قد يجرم فيها المجرمون ويظلم الظالمون، ولا ينالهم مكروه، وقد يحسن فيها المحسنون ويصلح المصلحون ولا ينالهم محبوب، وفى هذا تسلية عظيمة وأخرى: العلم بأن الحياة الدنيا بكل ما فيها لاتعدو كونها متاع الغرور، أي متاع زائل غار ببهرجه، وجمال منظره، ثم لا يلبث ان يذهب ويزول. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٨٥) أما الآية الثانية (١٨٦) ففيها يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بأنهم لا محالة مختبرون في أمـوالهم وفي أنفسـهم.في أموالهم بالجوائح ، وبالواجبات، وفي أنفسهم بالمرض والموت والتكـاليف الشـاقـة كالجهاد والحج والصيام، وانهم لا بد وأن يسمعوا من أهل الكتاب والمشركين أذىً كبيراً كما قال فنحاص: الله فقير ونحن[(٢)] أغنياء أو كما قال النصارى : المسيح ابن الله، وكما قال المشركون: اللات والعزى وبناة آلهة مع الله.ثم حثهم تعالى على الصبر

---

(١) من أحكام الاحتضار تلقين لا إله إلا الله وقراءة يسٓ لتخفيف سكرات الموت لقوله ﷺ: «ما من ميت يقرأ عنده يسٓ إلاّ هون عليه» وحديث أبي داود «اقرأوا يسٓ على موتاكم» ومن أحكام الموت تغميض العينين وغسله وكفنه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين وتعجيل دفنه والإسراع في المشي به لحديث: «أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك غير ذلك فشر تضعونه عن رقابكم».

(٢) قال ابن أبي لرسول الله ﷺ ارجع إلى رحلك لا تؤذنا في مجالسنا، وكان كعب بن الأشرف ينظم القصائد يسب فيها المسلمين ويؤلب فيها عليهم الكافرين، بل كان يتشبب بنساء المؤمنين، ولذا أذن الرسول في اغتياله فقتله غيلة محمد بن مسلمة وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

والتقوى فقال وإن تصبروا وتتقوا فإن صبركم وتقواكم مما أوجب الله تعالى عليكم وليس هو من باب الندب والاستحباب بل هو من باب الفرض والوجوب.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات :**

١ـ ليست الدار الدنيا بدار جزاء وانما هي دار عمل.

٢ـ تعريف الفوز الحق وهو الزحزحة عن النار ودخول الجنة.

٣ـ بيان حقيقة هذه الحياة وأنها كمتاع خادع لا يلبث ان يتلاشى ويضمحل.

٤ـ الابتلاء ضروري فيجب الصبر والتقوى فإنها من عزائم الأمور لا من رخصها.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ[1] لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

## شرح الكلمات :

**الميثاق** : العهد المؤكد باليمين.

**اوتوا الكتاب** : اليهود والنصارى.

**الكتمان** : إخفاء الشيء وجحوده حتى لا يرى ولا يعلم.

**فنبذوه وراء ظهورهم** : ألقوه وطرحوه ولم يلتفتوا إليه وهو ما أخذ عليهم العهد والميثاق فيه من الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به مِنَ الإسلام.

---

(١) الضمير عائد إلى الكتاب أي أقسم عليكم بجلالي وكمالي لَتُظهِرُنَّ جميع مافي الكتاب من الأحكام والأخبار ومنها نعوت النبي محمد ﷺ وصفاته.

**واشتروا به ثمنا قليلا** : اعتـاضـوا عنه حطام الدنيا ومتاعها الزائل اذ كتموه، ابقاء على منافعهم الدنيوية.

**ان يحمدوا بما لم يفعلوا** : أي يثنى عليهم ويذكروا بخير وهم لم يفعلوا ما يوجب لهم ذلك.

**بمفازة من العذاب** : بمنجاة من العذاب فى الدنيا، ولهم فى الآخرة عذاب أليم.

## معنى الآيات :

مازال السياق في اليهـود فيقول تعالى لنبيه، واذكر لهم إذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى أخذ على علمائهم العهد المؤكد بأن يبينوا للناس نعوت النبي ﷺ في كتابهم، وأن يؤمنوا به ويتابعوه على ما جاء به من الهدى ودين الحق وهو الإسلام، ولكنهم كتموه ونبذوه وراء ظهورهم فلم يلتفتوا إليه واستبدلوا بذلك ثمناً قليلاً وهو الجاه والمنصب والمال قال تعالى: ﴿واشتروا به ثمنا قليلاً﴾ وذم الله تعالى ذلك الثمن القليل فقال فبئس ما يشترون هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٨٧) وأما الأية الثانية (١٨٨) ﴿ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾[1]. فإن الله تعالى يقول لرسوله ﷺ لا تحسبن يا رسولنا الذين يفرحون بما اتوا من الشر والفساد بتحريف كلامنا وتبديل اوامرنا وتغيير شرائعنا وهم مع ذلك يحبون أن يحمدهم الناس أي يشكروهم ويثنوا عليهم، ما لم يفعلوا من الخير والإصلاح إذ عملهم كان العكس وهو الشر والفساد فهؤلاء من اليهود ولا تحسبنهم بمفازة أي بمنجاة من العذاب، ولهم عذاب أليم يوم القيامة. وأما الآية الثالثة (١٨٩) فقد أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض، وأنه على كل شيء قدير فدلل بذلك على قدرته على البطش بالقوم والانتقام منهم، وانـه منجز وعيده لهم وهو عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة فقال: ﴿ولله ملك السموات والأرض، والله على كل شيء قدير﴾.

---

(١) روى البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري أن رجالاً من المنافقين كانوا إذا خرج الرسول ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا وحلفوا وأحبّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت هذه الآية، وروي في سبب نزولها الخبر الآتي: إن مروان بعث بأحد رجاله إلى ابن عباس يسأله قائلا: لئن كان كل امرىء منا فرح بما أتى وأحبّ أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبَنّ أجمعين؟ فقال ابن عباس مالكم وهذه إنّما نزلت هذه في أهل الكتاب ثمّ تلا الآية: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق﴾ إلى قوله ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات :**

١ـ أخذ الله الميثاق على علماء أهل الكتاب ببيان الحق يتناول علماء[١] الإسلام فإن عليهم أن يبثوا الحق ويجهروا به، ويحرم عليهم كتمانه[٢] أو تأويله ارضاء للناس ليحوزوا على مكسب دنيوي مالاً أو جاهاً أو سلطاناً.

٢ـ لا يجوز للمسلم ان يحب أن يحمد بما لم يفعل من الخير والمعروف، بل من الكمال أن لا يرغب المسلم في مدح الناس وثنائهم وهو فاعل لما يستوجب ذلك فكيف بمن لم يفعل ثم يحب أن يحمد. بل بمن يفعل الشر والفساد ويحب ان يحمد عليه بالتصفيق[٣] له وكلمة يحيى فلان....

٣ـ ملك الله تعالى لكل شيء وقدرته على كل شيء توجب الخوف منه والرغبة إليه وأكثر الناس عن هذا غافلون، وبه جاهلون.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ

---

(١) قال محمد بن كعب: لا يحل لعالم أن يسكت على علمه ولا لجاهل أن يسكت على جهله قال الله تعالى ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ الآية. وقال: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وقال علي رضي الله عنه: ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلّموا.

(٢) شاهده ما جاء من طرق متعددة عنه ﷺ أنه قال: «من سُئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» وشاهده أيضاً: حديث البخاري: «من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة».

(٣) هذه حال الكثير من زعماء أمّة الإسلام في عصور انحطاطها وفساد عقائدها وأخلاقها وانحراف سلوكها نتيجة كيد المجوس لها واليهود والنصارى كذلك.

ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

## شرح الكلمات :

في خلق السموات والأرض : أي في وجودهما من العدم.

واختلاف الليل والنهار : تعاقبهما هذا يجيء وذاك يذهب، هذا مظلم وذاك مضيء.

لآيـات : دلائل واضحة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته.

لأولي الألباب : أصحاب العقول التى تُدرك بها الأشياء وتفهم بها الأدلة

ربّـنا : يقولون: ربنا الخ . .

باطـلا : لا لشيء مقصود منه، وإنما هو من باب اللعب.

سبحانك[1] : تنزيها لك عن العبث واللعب، وعن الشريك والولد.

فقنا عذاب النار : أجرنا واحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا للأعمال الصالحة وتجنيبنا الأعمال الفاسدة الموجبة لعذاب النار.

أخزيتـه : أذللته وأشقيته.

---

(١) روي أنّ النبي ﷺ سُئل عن معنى سبحان الله فقال: «تنزيه الله عن السوء»

| | |
|---|---|
| كفــر عنا | : استر وامح . |
| الأبــــرار | : جمع برّ أو بار وهم المتمسكون بالشريعة . |
| علـى رسلك | : على ألسنة رسلك من النصر والتأييد . |
| الميــعاد | : الوعـــد . |
| هاجــروا | : تركوا بلادهم وديارهم وأموالهم وأهليهم فراراً بدينهم . |
| أوذوا فى سبيلى | : آذاهم المشركون من اجل الإيمان بى ورسولى وطاعتنا . |
| ثوابا من عند الله | : أي أجراً جزاء كائناً من عند الله ، وهو الجنات بعد تكفير السيئات . |

## معنـى الآيات :

لما قال اليهود تلك المقالة السيئة : ان الله تعالى فقير ونحن أغنياء ، وحرفوا الكتاب وبدلوا وغيروا ويحبون ان يحمدوا على باطلهم كانت مواقفهم هذه دالة على عمى في بصائرهم ، وضلال فى عقولهم ، فذكر تعالى من الآيات الكونيّة ما يدل على غناه ، وافتقار عباده إليه ، كما يدل على ربوبيته على خلقه ، وتدبيره لحياتهم وتصرفه في أمورهم ، وانه ربهم لا رب لهم غيره وإلههم الذي لا إله لهم سواه إلا أن هذا لا يدركه الا أرباب العقول الحصيفة والبصائر النيرة فقال تعالى : ﴿ان في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾[1] نعم ان في ايجاد السموات والأرض من العدم وفي اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والظلام والضياء ، والتعاقب بذهاب هذا ومجيء ذاك دلائل واضحات على غنى الله وافتقار عباده وبراهين ساطعة على ربوبيته لخلقه . والوهيته لهم . هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٩٠) وأما الآيات الأربع بعدها فقد تضمنت وصفاً لأولى الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض فيهتدون الى معرفة الربّ تعالى فيذكرونه ويشكرونه . فقال تعالى عنهم : ﴿الـذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم﴾[2] وهذا شامل لحالهم فى الصلاة[3]

---

(١) صحّ أنّ النبي ﷺ كان إذا قام من الليل قرأ هذه الآيات العشر فلذا استحب لمن قام من ليله ليتجهد أن يقرأها ويتفكر فيها وورد عن عثمان : من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة .

(٢) شاهد هذا قول عائشة في الصحيح : «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» ومن الأدب أن يستثني من هذا لعموم حالة التبول وقضاء الحاجة في الكُنُف .

(٣) لحديث عمران بن حصين رضي الله عنهما إذ قال كان بي البواسير فسألت رسول الله ﷺ عن الصلاة فقال : «صلِّ قائما فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب» رواه الأئمة وفي مسلم : «أن النبي ﷺ صلى النافلة قاعدا وذلك قبل موته بعام» .

وخارج الصلاة. وقال عنهم: ﴿ويتفكرون[1] في خلق السموات والأرض﴾، أي في إيجادهما وتكوينهما وإبداعهما، وعظيم خلقهما، وما أودع فيهما من مخلوقات. فلا يلبثون أن يقولوا: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ أي لا لحكمة مقصودة ولا لهدف مطلوب، بل خلقته بالحق وحاشاك ان تكون من اللاعبين العابثين سبحانك تنزيها لك عن العبث واللعب بل خلقت ما خلقت لحكم عالية خلقته لأجل أن تذكر وتشكر، فتكرم الشاكرين الذاكرين، فى دار كرامتك وتهين الكافرين في دار عذابك، ولذا قالوا: في الآية (١٩٢) ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته، وما للظالمين من أنصار﴾. والظالمون هم الكافرون، ولذا يعدمون النصير ويخزون بالعذاب المهين، وقال عنهم في الآية (١٩٣) ﴿ربنا اننا سمعنامناديًاينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا﴾، والمنادى هو القرآن الكريم والرسول[2] ﷺ وتوسلوا بإيمانهم لربهم طالبين أشرف المطالب واسماها مغفرة ذنوبهم ووفاتهم مع الأبرار فقالوا ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئآتنا وتوفنا مع الأبرار[3]﴾ وهو ما جاء في الآية (١٩٣) وأما الآية الخامسة (١٩٤) فقد سألوا ربهم أن يعطيهم ما وعدهم على ألسنة رسله من النصر والتمكين في الأرض، هذا في الدنيا، وأن لا يُخزيهم يوم القيامة بتعذيبهم في النار، فقالوا: ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد﴾، أي وعدك الحق وفي الآية السادسة (١٩٥) ذكر تعالى استجابته لهم فقال لهم: ﴿إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ بل أجازى الكل بعمله لا أنقصه له ذكراً كان أو أنثى لأن بعضكم من بعض الذكر من الأنثى والانثى من الذكر فلا معنى للتفرقة بينكم، وذكر تعالى بعض أعمالهم الصالحة التى استوجبوا بها هذا الإنعام فقال: ﴿فالذين هاجروا، واخرجوا من ديارهم، وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا﴾، وواعدهم قائلا: ﴿لأكفرن عنهم سيئآتهم ولأدخلنهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار﴾، وكان ذلك ثوابا منه تعالى على أعمالهم الصالحة، والله عنده حسن الثواب، فليرْغَب إليه، وليَطمَع فيه، فإنه البر الرحيم.

---

(١) الفكرة: تردد القلب في الشيء، والتفكر ممدوح ما كان في خلق السموات والأرض وفي أحوال القيامة والمعاد والجزاء والدار الأخرة وورد النهي عن التفكر في ذات الله، إذ قال ﷺ: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره».

(٢) أي محمد ﷺ قاله ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين، وقال قتادة وغيره هو القرآن، والكلّ صحيح، والرسول نادى والقرآن نادى إلى اليوم.

(٣) لِمَ ما قالوا وتوفنا مع الأبرار؟ إنهم هضماً لأنفسهم وتواضعاً لربهم وإعلاناً عن رغبتهم في الالتحاق بربهم حبّاً في لقائه والحياة إلى جواره في الملكوت الأعلى مع النبيين، والصديقين والشهداء والصالحين.

## هداية الآيـات

**من هداية الآيات :**

١ـ وجوب التفكر في خلق السموات والأرض للحصول على المزيد من الإيمان والإيقان .

٢ـ استحباب تلاوة هذه الآيات : إن في خلق السموات الى آخر السورة وذلك عند القيام للتهجد آخر الليل لثبوت ذلك فى الصحيح[1] عنه ﷺ .

٣ـ استحباب ذكر الله فى كل[2] حال من قيام أو قعود أو اضطجاع .

٤ـ استحباب التعوذ من النار بل وجوبه ولومرة فى العمر .

٥ـ مشروعية التوسل الى الله تعالى بالإيمان وصالح الأعمال .

٦ـ فضل الهجرة والجهاد في سبيل الله .

٧ـ المساواة بين المؤمنين والمؤمنات في العمل والجزاء .

٨ـ استحباب الوفاة بين الأبرار وهم أهل الطاعة لله ولرسوله والصدق فيها وذلك بالحياة معهم والعيش بينهم لتكون الوفاة بإذن الله معهم .

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) روى الشيخان عن ابن عباس أنه نام ليلة عند خالته ميمونة قال فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الأخر قعد فنظر في السماء فقال : إنّ في خلق السموات الآيات، ثم قام فتوضأ واستنّ ثمّ صلى إحدى عشرة ركعة ثم أذّن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح».

(٢) شاهده حديث عائشة الصحيح «أن النبي ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه».

سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

## شـرح الكلمـات :

**لا يغرنـك** : لا يكن منك اغترار، المخاطب الرسول ﷺ والمراد أصحابه واتباعه.

**تقلب الذين كفروا فى البلاد** : تصرفهم فيها بالتجارة والزراعة والأموال والمآكل والمشارب.

**متـاع قليل** : تصرفهم ذلك هو متاع قليل يتمتعون به أعواماً وينتهى.

**ماواهم جهنم** : مآلهم بعد التمتع القليل الى جهنم يأوون اليها فيخلدون فيها أبداً.

**نزلاً من عند الله** : النُّزُل: ما يعد للضيف من قرى: طعام وشراب وفراش.

**الأبـــرار** : جمع بار وهو المطيع لله ولرسوله الصادق فى طاعته.

**وما أنزل اليكم** : القرآن والسنة، وما أنزل اليهم التوراة والإنجيل.

**خاشعين لله** : مطيعين مخبتين له عز وجل.

**لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا**: لا يجحدون أحكام الله وما أمر ببيانه للناس مقابل منافع تحصل لهم.

**اصبروا وصابروا**[1] : الصبر حبس النفس على طاعة الله ورسوله، والمصابرة: الثبات والصمود أمام العدو.

**ورابطـــوا** : المرابطة: لزوم الثغور منعاً للعدو من التسرب الى ديار المسلمين.

**تفلحـــون** : تفوزون بالظفر المرغوب، والسلامة من المرهوب فى الدنيا والآخرة.

---

(١) الصبر المأمور به له مواطن ثلاثة: وهي صبر على الطاعات وصبر دون المعاصي وصبر على البلاء فلا جزع ولا تسخط ولكن رضاً وتسليم.

## معنى الآيـات :

ينهى الله تبارك وتعالى دعاة الحق من هذه الأمة فى شخصية نبيهم ﷺ أن يَغُرَّهُمْ[1] اى يخدعهم ما يتصرف فيه أهل الكفر والشرك والفساد من مكاسب وأرباح وما يتمتعون به من مطاعم ومشارب ومراكب، فيظنوا أنهم على هدىً أو أن الله تعالى راضٍ عنهم وغير ساخط عليهم، لا، لا، إنما هو متاع في الدنيا قليل، ثم يردون الى أسوأ مأوى وشر قرار إنه جهنم التى طالما مهدوا لدخولها بالشرك والمعاصى، وبئس المهاد مهدوه لأنفسهم الخلود فى جهنم. هذا معنى الآيتين الاولى والثانية وهما قوله تعالى: ﴿لا يغرنك تقلب[2] الذين كفروا فى البلاد. متاع قليل، ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد﴾، أما الآية الثالثة (١٩٨)، وهى قوله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله، وما عند الله خير[3] للأبرار﴾ فإنها قد تضمنت استدراكاً حسناً وهو لما ذكر في الآية قبلها مآل الكافرين وهو شر مآل جهنم وبئس المهاد، ذكر في هذه الآية مآلُ المؤمنين وهو خير مآل: ﴿جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نُزُلاً من عند الله﴾، وما عند الله تعالى من النعيم المقيم فى دار السلام خير لأهل الإيمان والتقوى من الدنيا وما فيها فلا يضرهم ان يكونوا فقراء، معسرين، وأهل الكفر أغنياء موسرين أما الآية الرابعة (١٩٩) وهى قوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب[4] لمن يؤمن بالله﴾ الآية فانها تضمنت الرد الإلهى على بعض المنافقين الذين انكروا على رسول الله ﷺ والمؤمنين صلاتهم على النجاشى بعد موته، إذ قال بعضهم انظروا الى محمد وأصحابه يصلون على علج مات في غير ديارهم وعلى غير ملتهم، وهم يريدون بهذا الطعن على رسول الله ﷺ والمؤمنين فرد الله تعالى عليهم بقوله: وإن من أهل الكتاب أي اليهود والنصارى لمن يؤمن بالله، وما أنزل اليكم أيها المؤمنون، وما أنزل

---

(١) أي خير مما يتقلب فيه الكفار من متاع الدنيا في الدنيا.

(٢) روي في سبب نزول هذه الآية أن بعضاً من المسلمين قالوا: هؤلاء الكفار لهم تجائر وأموال واضطراب في البلاد، وقد هلكنا نحن من الجوع فنزلت الآية.

(٣) الغرّ والغرور هو الإطماع في أمر محبوب على نية عدم وقوعه لمن يطمع به ويغرر، وهو أيضاً إظهار الأمر المضرّ في صورة النافع، وهو مشتق من الغرّة وهي الغفلة يقال: رجل غِرّ إذا كان ينخدع لمن يخدعه، وفي الحديث: «المؤمن غِرّ كريم».

(٤) ثبت في الصحيحين أنّ النجاشي لما مات نعاه النبي ﷺ إلى أصحابه، وقال إنّ أخاً لكم بالحبشة قد مات فصلّوا عليه فخرج إلى الصحراء فصفهم وصلى عليه. وروى غير واحد عن أنس بن مالك أنه قال لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ: «استغفروا لأخيكم. فقال بعض الناس يأمرنا أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة فنزلت: ﴿وإن من أهل الكتاب...﴾ الآية.

اليهم في التوراة والانجيل خاشعين لله، أي خاضعين له عابدين، لايشترون بآيات الله ثمناً قليلاً كسائر اليهود والنصارى حيث يحرفون كلام الله ويبدلونه ويخفون منه ما يجب ان يظهروه ويبينوه حفاظا على منصب أو سمعة أو منفعة مادية، أما هؤلاء وهم عبدالله بن سلام من اليهود وأصحمة النجاشي من النصارى، وكل من أسلم من أهل الكتاب فإنهم المؤمنون حقاً المستحقون للتكريم والإنعام قال تعالى فيهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم يوفيهم إياه يوم القيامة إن الله سريع الحساب، إذ يتم حساب الخلائق كلهم فى مثل نصف يوم من أيام الدنيا.

هذا ما تضمنته الآية الرابعة (١٩٩) أما الآية الخامسة والأخيرة (٢٠٠) وهي قوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا[١] ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ فإنها تضمنت دعوة كريمة ونصيحة غالية ثمينة للامة الرحيمة بأن تصبر على الطاعات وعلى الشدائد والملمات فتصابر اعداءها حتى يُستلِموا او يُسلموا القياد لها. وترابط بخيولها وآلات حربها في حدودها وثغورها مرهبة عدوها حتى لا يطمع فى غزوها ودخول ديارها. ولتتق الله تقوى تكون سبباً فى فوزها وفلاحها بهذه الرحمة الربانية ختمت سورة آل عمران المباركة ذات الحكم والأحكام وتليها سورة النساء.

## هداية الآيات

**من هداية الآيـات :**

١ـ تنبيه المؤمنـين وتحذيرهم من الاغترار بما يكون عليه الكافرون من سعة الرزق وهناءة العيش فإن ذلك لم يكن عن رضى الله تعالى عنهم، وإنما هو متاع في الدنيا حصل لهم بحسب سنة الله تعالى في الكسب والعمل ينتج لصاحبه بحسب كده وحسن تصرفه.

٢ـ ما أعد لأهل الإيمان والتقوى وهم الأبرار من نعيم مقيم فى جوار ربهم خير من الدنيا وما فيها.

٣ـ شرف مؤمنى أهـل الكتـاب وبشارة القرآن لهم بالجنة وعلى رأسهم عبدالله بن سلام وأصحمة النجاشى.

---

(١) المصابرة: هي الصبر في وجه العدو الصابر، ومن هنا كانت المصابرة أشد من الصبر لأنها صبر في وجه عدو صابر فأيهما لم يثبت على صبره هلك، وأصبح النجاح لأطولهما صبراً قال زفر بن الحارث في اعتذاره عن الانهزام

سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

٤- وجوب الصبر والمصابرة والتقوى والمرابطة[1] للحصول على الفلاح الذى هو الفوز المرغوب والسلامة من المرهوب في الدنيا والآخرة.

# سُورَةُ النِّسَاءِ

## مدنيـــة[2]

## وآياتها ١٧٦ آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

## شرح الكلمات :

النـاس : البشر، واحد الناس من غير لفظه وهو إنسان.

اتقوا ربكم : خافوه ان يعذبكم فامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه.

من نفس واحدة[3] : هى آدم عليه السلام.

وخلق منها زوجها : خلق حواء من آدم من ضلعه[4].

وبـث : نشر وفرق فى الأرض من آدم وزوجه رجالا ونساء كثراً.

تساءلون به : كقول الرجل لأخيه أسألك بالله أن تفعل لى كذا.

والأرحـام : الأرحام جمع رحم، والمراد من اتقاء الأرحام صلتها وعدم قطعها.

رقيبـاً : الرقيب: الحفيظ العليم.

---

(١) المرابطة مصدر رابط رباطاً إذا حبس نفسه في ثغر من ثغور المسلمين بحرسها من مداهمة العدو الكافر لها، وفضل الرباط عظيم ووردت فيه أحاديث كثيرة نكتفي منها بما يلي حديث البخاري: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» وحديث مسلم: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه» وإن مات مرابطاً جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان.

(٢) الآية: إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، فإنها مكية فإنها نزلت يوم الفتح بمكة في شأن عثمان بن طلحة الحجبي.

(٣) لفظ النفس مؤنث قال تعالى: ﴿قد أفلح مَنْ ذكاها﴾ أي النفس ولذا وصفت هنا بواحدة لا بواحد.

(٤) قال قتادة: خلقت حواء من قصيراء آدم وفي الحديث: «خلقت المرأة من ضلع...».

## معنى الآيه الكريمة :

ينادى الرب تبارك وتعالى عباده بلفظ عام يشمل مؤمنهم وكافرهم : يا أيها الناس ويأمرهم بتقواه عز وجل وهى اتقاء عذابه في الدنيا والآخرة بالإسلام التام إليه ظاهراً وباطناً . واصفا نفسه تعالى بأنه ربهم الذي خلقهم من نفس واحدة وهى آدم الذي خلقه من طين، وخلق من تلك النفس زوجها[1] وهي حواء، وأنه تعالى بث منها أى نشر منها في الأرض رجالاً كثيرا ونساء كذلك ثم كرر الأمر بالتقوى إذ هى ملاك الأمر فلا كمال ولا سعادة بدون الالتزام بها قائلا واتقوا الله[2] الذى تساءلون به والأرحام[3]، أي اتقوا الله ربكم الذي آمنت به قلوبكم فكنتم إذا أراد أحدكم من أخيه شيئاً قال له أسألك بالله إلا اعطيتنى كذا . . واتقوا الأرحام[4] ان تقطعوها فإن في قطعها فساداً كبيراً وخللاً عظيما يصيب حياتكم فيفسدها عليكم، وتوعدهم تعالى ان لم يمتثلوا أمره بتقواه ولم يصلوا أرحامهم بقوله إن الله كان عليكم رقيباً مراعيا لأعمالكم محصياً لها حافظاً يجزيكم بها ألا أيها الناس فاتقوه.

## هداية الآية الكريمة

### من هداية الآية الكريمة :

١ـ فضل هذه الآية إذ كان النبي ﷺ إذا خطب في حاجة تلا آية آل عمران ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ . وتلا هذه الآية، ثم آية الأحزاب ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيمًا﴾ ثم يقول أما بعد ويذكر حاجته.

٢ـ أهمية الأمر بتقوى الله تعالى اذ كررت في آية واحدة مرتين في أولها وفي آخرها.

٣ـ وجوب صلة الأرحام وحرمة قطعها.

٤ـ مراعاة الأخوة البشرية بين الناس واعتبارها في المعاملات.

---

(١) الفصيح هو لفظ زوج ولذا لم يرد في القرآن بالتاء قط، وتساهل فيه الفقهاء لأجل التفرقة بين الرجل والمرأة ولهذا يقولون: للزوج كذا وللزوجة كذا.

(٢) الاتيان باسم الجلالة هنا ﴿واتقوا الله﴾ بدل اتقوا ربكم من أجل تربية المهابة في نفس السامعين لأنّ المقام مقام تشريع فلابد من إعداد النفوس لقبوله والنهوض به.

(٣) الأرحام: معطوف على اسم الجلالة منصوب أي اتقوا الله أن تعصوه والأرحام أن تقطعوها، وقرىء الأرحام بالجر عطفاً على الضمير في به وهو قبيح إذ لا يعطف على الضمير المجرور إلاّ إذا أعيد حرف الجرّ إلا ما كان من ضرورة الشعر كقول القائل:

فاليوم قرّبت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام من عجب

وعظم القبح لأنّ في ذلك حلف بالرحم والحلف بغير الله حرام.

(٤) الأرحام: اسم لكل الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره، وصلة الرحم واجبة إجماعاً وفي الحديث: «صلي أمك» أمرٌ لأسماء وأمها كانت يومئذ كافرة وقال ﷺ: «من ملك ذا رحم محرم فقد عتق عليه».

وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾

## شرح الكلمات :

**اليتامـــى** : جمع يتيم ذكراً كان أو أنثى وهو من مات والده وهو غير بالغ الحلم .

**ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** : الخبيث الحرام والطيب الحلال والمراد بها هنا الرديء والجيد .

**حوبـاً كبيـراً** : الحوب الاثم الكبير العظيم .

**ان لا تقســطوا**[1] : ان لا تعدلــوا .

**مثنى وثلاث ورباع** : أي اثنتين أو ثلاث ، أو أربع إذ لا تحل الزيادة على الأربع .[2]

**ادنى ان لاتعولوا** : أقرب ان لا تجوروا بترك العدل بين الزوجات .

**صدقاتهن نحلة**[3] : جمع صدقة وهى الصداق والمهر، ونحلة بمعنى فريضة واجبة .

**هنـــيئاً** : الهنيء : ما يستلذ به عند أكله .

**مريئـــاً** : المريء : ما تحسن عاقبته بأن لا يعقب آثاراً سيئة .

---

(١) روى مسلم عن عائشة في قوله تعالى ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا﴾ إلى ﴿ورباع﴾ قالت لعروة يا بن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا ويبلغوا بهن سنتهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم الحديث .

(٢) استنبط من إباحة أربع أن الزوج عليه أن يبيت مع زوجته ليلة من أربع ولا يجوز التقصير في ذلك إلا برضاها .

(٣) وبنو تميم يقولون : صُدقة بضم الصاد والجمع صُدقات ، والنحلة بكسر النون وضمها أصلها العطاء يقال نحلهُ كذا أعطاه ، فالصداق عطية من الله للمرأة ، وما دام عطية الله فهي إذاً فريضة واجبة .

## معنى الآيات :

لما أمر تعالى بصلة الأرحام وحرم قطعها في الآية السابقة أمر في هذه الآية أوصياء اليتامى ان يعطوا اليتامى[1] أموالهم إذا هم بلغوا سن الرشد وآنسوا منهم الرشد فقال تعالى وآتوا اليتامى أموالهم. ونهاهم محرماً عليهم أن يستبدلوا أموال اليتامى الجيدة بأموالهم الرديئة فقال تعالى: ولا تتبدلوا الخبيث أي الردىء من أموالكم بالطيب من أموالهم، لما في ذلك من أذية اليتيم في ماله، ونهاهم أيضا أن يأكلوا أموال يتاماهم مخلوطة مع أموالهم لما في ذلك من أكل مال اليتيم بغير حق فقال تعالى: ولا تأكلوا أموالهم[2] إلى أموالكم، وعلل ذلك بأنه إثم عظيم فقال عز وجل: إنه ـ أي الأكل ـ كان حوباً كبيراً. والحوب الإثم. هذا معنى الآية الأولى (٢) ﴿وآتوا اليتامى[3] أموالهم، ولا تتبدَّلوا الخبيث بالطيب، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً[4]﴾ وأما الآية الثانية (٣) فقد أرشد الله تعالى أولياء اليتيهات ان هم خافوا ان لا يعدلوا معهن[5] إذا تزوج أحدهم وليته أرشدهم الى أن يتزوجوا ما طاب لهم من النساء غير ولياتهم مثنى، وثلاث ورباع.[6] يريد اثنتين اثنتين أو ثلاث ثلاث أو أربع أربع كل بحسب قدرتـه، فهذا خير من الزواج بالولية فيهضم حقها وحقها آكد لقرابتها. هذا معنى قوله تعالى: ﴿وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾. وقوله ﴿فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ يريد تعالى وإن خاف المؤمن ألا يعدل بين زوجاته لضعفه فليكتف بواحدة ولا يزد عليها غيرها أو يتسَّرى بمملوكته إن كان له مملوكة فإن هذا أقرب الى أن لا يجور المؤمن ويظلم نساءه. هذا معنى قوله تعالى ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة، أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ان لا تعولوا. وفي الآية الرابعة والأخيرة يأمر تعالى المؤمنين بأن يعطوا النساء مهورهن فريضة منه تعالى فرضها على

---

(١) هذا باعتبار ما كانوا عليه أمّا اليوم فليسوا يتامى إذ لا يُتم مع البلوغ.

(٢) قيل إلى هنا بمعنى مع وهو سائغ إلاّ أنها على بابها أولى والتقدير: ولا تأكلوا أموالهم مضافة إلى أموالكم.

(٣) أي اعطوا يقال: آتاه كذا أعطاه إياه والإيتاء مصدر الاعطاء، ويقال لفلان أتو اي عطاء ويقال أتوت الرجل آتوه إتاوة وهي الرشوة، ولايتاء اليتامى أموالهم صورتان الأولى: غذاؤهم وكساؤهم ما داموا تحت الولاية، والثانية: دفع أموالهم إليهم وذلك عند البلوغ والرشد.

(٤) الحوب: الإثم وفيه لغات: الحُوب بضم الحاء، والحوب بفتحها، والحيابة والحاب أيضاً وهو مصدر كالقال من قال قولا وقالاً، ويكون الحُوب بالضم بمعنى الوحشة ومنه قوله ﷺ لأبي أيوب: «إنّ طلاق أم أيوب لحوب» والحوبة الإثم ومنه: اللهم اغفر حوبتي والحوبة الحاجة ومنه: إليك أرفع حوبتي، أي: حاجتي هذا في الدعاء.

(٥) الإجماع على أنّ المراد من قوله تعالى: ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ ان ينكح الرجل اثنتين او ثلاثاً أو أربعاً على التخيير وليس معناه الجمع بين تسع نساء ومَنْ فعل وهو عالم يُحدّ بالرجم، وإن كان جاهلاً يحد بالجلد.

الرجل لامرأته، فلا يحل له ولا لغيره أن يأخذ منها شيئاً إلا برضى الزوجة فإن هى رضيت فلا حرج فى الأكل من الصداق لقوله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئا.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات :**

١- كل مال حرام فهو خبيث وكل حلال فهو طيب.

٢- لا يحل للرجل ان يستبدل جيدا من مال يتيمه بمال رديء من ماله كأن يأخذ شاة سمينة ويعطيه هزيلة أو يأخذ تمراً جيداً ويعطيه رديئاً خسيساً.

٣- لا يحل خلط مال اليتيم مع مال الوصي ويؤكلان جميعا لما في ذلك من أكل مال اليتيم ظلما.

٤- جواز نكاح أكثر من واحدة إلى أربع مع الأمن من الحيف والجور.

٥- وجوب مهور النساء وحرمة الأكل منها بغير طيب نفس صاحبة المهر وسواء في ذلك الزوج وهو المقصود في الآية أو الأب والأقارب.

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ۚ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

**شـرح الكـلمـات :**

**لا تؤتـوا**[1] : لاتعطـوا.

---

(١) في الآية دليل على مشروعية الحجر على السفيه، وسواء كان السفه لصغر أو لخفة عقل أو عدم رشد.

السـفهاء : جمع سفيه وهو من لا يحسن التصرف في المال.

قيـاماً[1] : القيام: ما يقوم به الشيء فالأموال جعلها الله تعالى قياما أي تقوم عليـها معايش الناس ومصالحهم الدنيوية والدينية أيضاً.

قولا معروفـاً : أي قولاً تطيب[2] به نفسه فلا يغضب ولايحزن.

وابتـلوا اليتامى : أي اختبروهم كي تعرفوا هل اصبحوا يحسنون التصرف في المال.

بلغوا النكـاح : أي سن الزواج وهى البلوغ.

آنسـتم : أبصرتم الرشـد في تصرفاتهم[3].

إسرافاً وبداراً : الإسراف الإنفاق في غير الحاجة الضرورية، والبدار: المبادرة والمسارعة إلى الأكل منه قبل أن ينقل إلى اليتيم بعد رشده.

فليستعـفف : أي يعف بمعنى يكف عن الأكل من مال يتيمه.

فليأكل بالمعروف : أي بقدر الحاجة الضرورية.

وكفى بالله حسيبا : شاهداً لقرينة فأشهدوا عليهم.

## معـنى الآيـتين :

مازال السياق الكريم في إرشاد الله تعالى عباده المؤمنين الى ما فيه خيرهم وصلاحهم في الـدنيا، ونجـاتهم وفلاحهم في الآخرة فقال تعالى في الآية الأولى (٥) ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم[4] فيها وأكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً، فنهاهم تعالى أن يعطوا أموالهم التى هى قوام معاشهم السفهاء من امرأة وولد أو رجل قام به وصف السفه وهو قلة البصيرة بالأمور المالية، والجهل بطرق التصرف الناجحة مخافة أن ينفقوها في غير وجوهها أو يفسدوها بأي نوع من الإفساد، كالإسراف ونحوه، وأمرهم أن يرزقوهم فيها ويكسوهم، وقال فيها ولم يقل منها إشارة الى أن المال ينبغى أن ينمى في تجارة أو صناعة أو

---

(١) قياماً: أصلها قواما فكسر ما قبل الواو فقلبت ألفا قياما وقواما بمعنى واحد والقيام والقوام ما يقيم غيره، فالأموال بها يتقوم المعاش، ولذا قيل: الأموال قوام الأعمال.

(٢) كقوله لولد: مالي إليك صائر، وكأن يدعو لهم: (بارك الله فيكم) أو يقول: هذا مالكم احفظه لكم لتأخذوه يوم ترشدون.

(٣) دفع مال اليتيم إليه يتمّ بشرطين: الرشد والبلوغ فإن وجد أحدهما دون الآخر فلا يتم تسليم المال.

(٤) في هذه الآية دليل على مشـروعية الـوصاية والولاية والكفالة على الأيتام وبها دليل على وجوب النفقة على الزوجة والأولاد، وفي الصحيح: «أفضل الصدقة ما ترك غنىً، واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول» وهم الزوجة والولد والعبد.

زراعة فيبقى رأس المال والأكل يكون من الربح فقط كما أمرهم ان يقولوا لسفائهم الذين منعوهم المال أن يقولوا لهم قولاً معروفاً كالعدة الحسنة والكلمة الطيبة، هذا ما تضمنته الآية الأولى أما الثانية (٦) فقد أمرهم تعالى باختبار[1] اليتامى إذا بلغوا سن الرشد أو ناهزوا البلوغ[2] بأن يعطوهم شيئاً من المال ويطلبوا منهم أن يبيعوا أو يشتروا فاذا وجدوا منهم حسن تصرف دفعوا اليهم أموالهم وأشهدوا عليهم، حتى لا يقول أحدهم في يوم من الأيام ما أعطيتني مالى، وكفى بالله حسيبا أي شاهداً ورقيباً حفيظاً. ونهاهم عز وجل أن يأكلوا أموال اليتامى إسرافاً وبداراً أن يكبروا ويريد لا تأكلوا أموال يتاماكم أيها الولاة والأوصياء[3] بطريق الإسراف وهو الانفاق الزائد على قدر الحاجة، والمبادرة هى المسارعة قبل أن يرشد السفيه وينقل إليه المال. ثم أرشدهم الى أقوم الطرق وأسدها في ذلك فقال ومن كان منكم غنيا فليكفّ عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئاً، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف وذلك بان يستقرض منه ثم يرده اليه بعد الميسرة، وإن كان الولى فقيراً جاز له أن يعمل بأجر كسائر العمال، وان كان غنياً فليعمل مجاناً احتساباً وأجره على الله والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

## هداية الآيتين

**من هداية الآيتين :**

١ـ مشروعية الحجر على السفيه لمصلحته.

٢ـ استحباب تنمية الأموال في الأوجه الحلال لقرينة ﴿وارزقوهم فيها﴾.

٣ـ وجوب اختبار السفيه قبل دفع ماله إليه، إذ لا يدفع إليه المال الا بعد وجود الرشد.

٤ـ وجـوب الإشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه ورشده.

٥ـ حرمة أكل مال اليتيم والسفيه مطلقا.

٦ـ الوالى على اليتيم ان كان غنياً فلا يأكل من مال اليتيم شيئاً، وإن كان فقيراً استقرض ورد عند الوجد واليسار، وان كان مال اليتيم يحتاج إلى أجير للعمل فيه جاز للولى ان يعمل بأجرة المثل.

---

(١) هذه الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه، وذلك أنّ رفاعة توفي وترك ابنه وهو صغير فأتى عم ثابت إلى النبي ﷺ فقال: إنّ ابن أخي في حجري فما يحل لي من ماله ومتى أدفع إليه ماله؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

(٢) يعرف البلوغ بالاحتلام وانبات شعر العانة أو ببلوغ ثمانية عشر سنة. هذا للغلام، أما الجارية فتزيد بعلامة أخرى هي الحيض والحمل.

(٣) العاجز عن الوصاية لجهل أو عدم قدرته أو ضعف إرادته ينبغي له أن لا يلي مال يتيم أو قاصر لقول الرسول ﷺ لأبي ذر «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرنّ على اثنين ولا تلينّ مال يتيم» رواه مسلم.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا
خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

## شرح الكلمات :

**نصيب** : الحظ المقدر[1] في كتاب الله .

**الوالدان** : الأب والأم .

**الأقربون** : جمع قريب وهو هنا الوارث بنسب أو مصاهرة أو ولاء .

**نصيبا مفروضا** : قدراً واجباً لازماً .

**أولوا القربى** : أصحاب القرابات الذين لا يرثون لبعدهم عن عمودى النسب .

**فارزقوهم منه** : أعطوهم شيئا يرزقونه .

**قولا معروفا** : لا إهانة فيه ولا عتاب ، ولا تأفيف .

**الخشية** : الخوف فى موضع الأمن .

**قولا سديداً** : عدلا صائبا[2] .

**ظلما** : بغير حق يخول لهم أكل مال اليتيم .

---

(١) هذا النصيب الذي أوجبه الله للورثة مجمل وسيأتي تفصيله في آية : ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ الآية .

(٢) القول السديد : هو كقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص ، وقد مرض مرضاً شديداً فعاده رسول الله ﷺ فيه فقال سعد يا رسول الله : إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال : لا . قال فشطره؟ قال : لا . قال : فالثلث؟ قال : الثلث والثلث كثير ثم قال رسول الله ﷺ : إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» .

وسيصلون سعيرا : سيدخلون سعيراً ناراً مستعرة يشوون فيها ويحرقون بها .

## معنى الآيــات :

لقد كان أهل الجاهلية لا يُورّثون النساء ولا الأطفال بحجة أن الطفل كالمرأة لا تركب فرساً ولا تحمل كلاً ولا تنكى عدواً، يَكسِبُ[1] ولا تكسب، وحدث أن امرأة يقال لها أم كُحّة ماتْ زوجها وترك لها بنتين فمنعهما أخو الهالك من الإرث فشكت ام كحة الى رسول الله[2] ﷺ فنزلت هذه الآية الكريمة: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان ، والأقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾ ومن ثم اصبحت المرأة كالطفل الصغير يرثان كالرجال، وقوله تعالى: مما قل منه اى من المال المتروك او كثر حال كون ذلك نصيباً مفروضاً لا بد من اعطائه الوارث ذكراً كان أو أنثى صغيرا أو كبيراً . والمراد من الوالدين الأب والأم، والأقربون[3] كالأبناء والإخوان والبنات والاخوات، والزوج والزوجات هذا ما تضمنته[4] الآية الأولى (٧) وأما الآية الثانية (٨) فقد تضمنت فضيلة جميلة غفل عنها المؤمنون وهى أن من البر والصلة والمعـروف إذا هلك هالك، وقدمت تركته للقسمة بين الورثة، وحضر قريب غير وارث لحجبه أو بعده أو حضر يتيم أو مسكين من المعروف ان يعطوا شيئاً من تلك التركة قبل قسمتها وان تعذر العطاء لأن الورثة يتامى أو غير عقلاء يصرف أولئك الراغبون من قريب ويتيم ومسكين بكلمةٍ طيبة كاعتذار جميل تطيب به نفوسهم هذا ما تضمنته الآية الثانية وهى قوله تعالى: ﴿وإذا حضر[5] القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه﴾ ـ أي من المال ـ المتروك وقولوا لهم قولا معروفا إن تعذر إعطاؤهم لمانع يتم أو عقل. أما الآية الثالثة

---

(١) يكسب أي الرجل ولا تكسب أي المرأة.

(٢) فقال ﷺ: «انصرفا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن» فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليهم وإبطالاً لقولهم وتصرّفهم الجاهلي، إذ المفروض أن الصغير والمرأة أولى بالإرث لحاجتهما وخوفهما.

(٣) لفظ الأقربون مجمل ومن هنا أرسل النبي ﷺ إلى سويد وعرفجة «ألاّ يفرقا من مال أوس شيئا فإن الله جعل لبناته نصيباً ولم يبيّن كم هو حتى أنظر ما ينزل ربّنا فنزلت: ﴿يوصيكم الله﴾ الآية فأرسل إليهما: أن اعطيا أم محةَ الثُمن مما ترك أوس. ولبناته الثلثين ولكما بقية المال».

(٤) قوله تعالى: ﴿مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾ اختلف أهل العلم في الشيء يتركه المورث وهو لا يقبل القسمة كالدّار الصغيرة، والجوهرة الواحدة، وما إلى ذلك. فذهب بعض إلى أنه لابد من القسمة، وذهب آخرون ـ وهو الحق إن شاء الله تعالى ـ أنّ مالا يقبل القسمة لفساده يباع ويقسم ثمنه على الورثة ولا شفعة فيه لأنّــه لاتتــأتى فيه الحدود والشفعة فيما يقسم وتـوقـع فيه الحـدود، وهذا ليس كذلك لتعذّر قسمته، ويشهد لهذا الرأي حديث الدارقطني ونصه: لا تعضية (أي لا تفرقه) على أهل الميراث إلاّ ما حمل القسم فقرر ﷺ أن مالا يقبل القسم لا يجوز تعصينه اي تفريقه على الورثة لأنه يفسد بالقسمة فتعيّن أن يباع ويقسم ثمنه.

(٥) الجمهور على أن هذه الآية منسوخة بآية ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ الآية وقال ابن عباس إنها محكمة، وعلى أنها غير منسوخة شرحناها في التفسير فليتأمّل.

وهي قوله تعالى: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً﴾ فقد تضمنت إرشاد الله تعالى للمؤمن الذى يحضر مريضا على فراش الموت بأن لا يسمح له ان يحيف في الوصية بأن يوصى لوارث أو يوصى بأكثر من الثلث او يذكر دينا ليس عليه وإنما يريد حرمان الورثة. فقال تعالى آمراً عباده المؤمنين وليخش الذين لو تركوا من خلفهم أيّ من بعد موتهم، ذرية ضعافاً خافوا عليهم. أي فليخشوا هذه الحال على أولاد غيرهم ممن حضروا وفاته. كما يخشونها على أولادهم. إذاً فعليهم أن يتقوا الله في أولاد غيرهم. وليقولوا لمن حضروا وفاته ووصيته قولا سديداً: صائباً لا حيف فيه ولا جور معه. هذا ما تضمنته الآية الثالثة (٩) أما الآية الرابعة (١٠) فقد تضمنت وعيدا شديداً لمن يأكل مال اليتيم ظلما إذ قال تعالى فيها: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى[١] ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيَصْلون[٢] سعيرا﴾. والمراد من الظلم انهم أكلوها بغير حق اباح لهم ذلك كأجرة عمل ونحوه، ومعنى يأكلون في بطونهم ناراً انهم يأكلون النار يوم القيامة فقوله إنما يأكلون في بطونهم ناراً هو باعتبار ما يؤول إليه أمر أكلهم اليوم، والعياذ بالله من نار السعير.

## هداية الآيـات

**من هدايـة الآيـات:**

١ـ تقرير مبدأ التوارث في الإسلام.

٢ـ استحباب إعطاء من حضر قسمة التركة من قريب أو يتيم ومسكين وإن تعذر إعطاؤهم صُرفوا بالكلمة الطيبة، وفي الحديث الكلمة الطيبة صدقة.

٣ـ وجوب النصح والإرشاد للمحتضر حتى لا يجور في وصيته عند موته.

٤ـ على من يخاف على أطفاله بعد موته أن يحسن الى أطفال غيره فإن الله تعالى يكفيه فيهم.

٥ـ حرمة أكل مال اليتامى ظلمًا، والوعيد الشديد فيه.

---

(١) الآية دليل على أن أكل مال اليتيم بدون حق من كبائر الذنوب بل هو من الموبقات السبع لحديث الصحيح: «اجتنبوا السبع الموبقات..» وذكر الشرك وعقوق الوالدين والربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

(٢) قرأ أبو حيوة: ﴿وسيصلون﴾ بضم الياء وتشديد اللام من التصلية التي هي كثرة الفعل مرّة بعد أخرى ومنه: ﴿ثمّ الجحيم صلوه﴾ أي مرة بعد مرة وعليه قول الشاعر:

وقد تصليت حرّ حربهم    كما تصلى المقرور من قرتين

يريد أنه اكتوى بنار حربهم مرّة بعد مرّة كما يفعل من به البرد الشديد فإنه يستدفىء مرّة بعد مرّة.

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

**شرح الكلمات :**

**يوصيكم** : يعهد إليكم .

**في أولادكم** : في شأن أولادكم والولد يطلق على الذكر والأنثى .

**حظ** : الحظ الحصة أو النصيب .

**نساء** : بنات كبيرات أو صغيرات .

**ثلثا ما ترك** : الثلث واحد من ثلاثة ، والثلثان اثنان من ثلاثة .

**السدس** : واحد من ستة .

**ان كان له ولد** : ذكراً كان أو أنثى ، او كان له وَلَدُ وَلَدٍ أيضا ذكراً أو أنثى فالحكم واحد .

**فإن كان له اخوة** : اثنان فأكثر.

**من بعد وصية** : أي يُخْرَجُ الدينُ[1] ثم الوصية ويقسم الباقي على الورثة .

**لا تدرون** : لا تعلمون .

**فريضة**[2] : فرض الله ذلك عليكم فريضة

---

(١) يرى الإمام الشافعي أن من مات وعليه زكاة أو حج الفرض أن يُخْرَج ذلك من ماله قبل قسمة التركة وقال مالك إن أوصى به تنفذ وصيته ، وإن لم يوص فالمال للورثة وهو أمره إلى الله تعالى .

(٢) الفرائض ست وهي النصف ، والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس .

عليما حكيـما : عليما بخلقه وما يصلح لهم، حكيما في تصرفه في شؤون خلقه وتدبيره لهم.

## معنى الآيـة الكريمة :

هذه الآية الكريمة (١١) ﴿يوصيكم[١] الله في أولادكم[٢] للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ الخ والتي بعدها (١٢) وهي قوله تعالى ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم﴾ إلخ نزلت لتفصيل حكم الآية (٧) والتي تضمنت شرعية التوارث بين الأقارب المسلمين، فالآية الأولى (١١) يسن تعـالى فيها توارث الأبناء مع الآباء فقال تعالى ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ أي في شأن أولادكم ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾ يريد إذا مات الرجل وترك أولاداً ذكورا وإناثا فإن التركة تقسم على أساس أن للذكر مثلَ نصيب الأنثيين فلو ترك ولداً وبنتا وثلاثة دنانير فإن الولد يأخذ دينارين والبنت تأخذ ديناراً وإن ترك بنات اثنين أو أكثر ولم يترك معهن ذكراً فإن للبنتين فأكثر الثلثين والباقى للعصبة إذ قال تعالى ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾. وإن ترك بنتاً واحدة فإن لها النصف والباقى للعصبة وهو معنى قوله تعالى ﴿وإن كانت واحدة فلها النصف﴾، وإن كان الميت قد ترك أبويه أي أمه وأباه وترك أولاداً ذكوراً أو إناثاً فان لكل واحد من أبويه السدس والباقى للأولاد، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد﴾، يريد ذكراً كان أو أنثى[٣]. فإن لم يكن للهالك وُلدٌ ولاَ وَلَدُ وَلَدٍ فلأمه الثلث[٤] وان كان له أخوة اثنان فأكثر فلأمه السدس[٥]، هذا معنى قوله تعالى: ﴿فإن كان له اخوة فلأمه السدس﴾. أي تسقط من الثلث[٦] الى السدس وهذا

---

(١) هذه الآية مبينة لما أجمل في آية: ﴿للرجال نصيب..﴾ وتسمى آية المواريث وهي من أعظم الآيات قدراً لأن علم الفرائض يعتبر ثلث العلم لقوله ﷺ في رواية أبي داود وغيره العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة». ومعنى محكمة: غير منسوخة، ومعنى قائمة ثابتة صحيحة، ومعنى عادلة: لم يخرج بها عن مراد الله تعالى منها، وذلك بإعطاء الوارث ما كتب الله له.

(٢) خرج من لفظ الأولاد: الكافر لأنه لا حق له في الإرث لأنّ الكفر مانع وذلك لقول ﷺ: لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» كما خرج ميراث النبي ﷺ لقوله: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة».

(٣) إن كان الولد خنثى فإنه يُوَرَّث من حيث يبول، إن بال من حيث يبول الرجال يُورَّث إرث الذكر وإن بال من حيث تبول النساء يورَّث ارث النساء، وإن أشكل ذلك يعطى نصف ميراث ذكر ونصف ميراث أنثى على هذا الجمهور.

(٤) هناك ما يُعرف بالثلث الباقي وهو أن تهلك هالكة وتترك زوجها وأبويها. فللزوج النصف والباقي ثلثه للأم والثلثان للأب، فرر هذا ابن عباس وزيد بن ثابت، وقرره كافة الأصحاب وعليه الأئمة، وحتى لا تأخذ المرأة أكثر من الرجل.

(٥) قيل في سرّ حجب الإخوة لأمهم من الثلث إلى السدس أنّ والدهم هوالذي يلي نكاحهم وهو الذي ينفق عليهم دون أمهم وهو رأي حسن.

(٦) الجدّة ترث السدس ولا ترث الثلث كما ترثه الأمّ إجماعاً.

يسمى بالحجب فحجبها إخوة ابنها الميت من الثلث الى السدس. وقوله تعالى ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ يريد أن قسمة التركة على النحو الذى بين تعالى يكون بعد قضاء دين الميت واخراج ما أوصى به ان كان الثلث فأقل وهو معنى قوله تعالى ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾. وقوله تعالى ﴿آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم أقرب لكم نفعاً﴾ معناه نفذوا هذه الوصية المفروضة كما علمكم الله ولا تحاولوا ان تفضلوا أحداً على أحد فإن هؤلاء الوارثين آباؤكم وأبناؤكم ولا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً في الدنيا والآخرة، ولذا فاقسموا التركة كما علمكم بلا محاباة فان الله تعالى هو القاسم والمعطى عليم بخلقه وبما ينفعهم أو يضرهم حكيم في تدبيره لشؤونهم فليفوض الأمر إليه، وليرض بقسمته فإنها قسمة عليم حكيم.

## هداية الآية الكريمة

**من هداية الآية الكريمة :**

١ـ ان الله تعالى تولى قسمة التركات بنفسه فلا يحل لأحد أن يغير منها شيئاً.

٢ـ الاثنان يعتبران جمعا.

٣ـ ولد الولد[1] حكمه حكم الولد نفسه في الحجب.

٤ـ الأب عاصب فقد يأخذ فرضه مع أصحاب الفرائض وما بقى يرثه بالتعصيب لقوله ﷺ ألحقوا الفرائض بأهلها فما ابقت الفرائض فالأولى رجل ذكر.

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ

(١) لفظ الولد يشمل المولود فعلا والجنين في بطن أمه دنياً أو بعيداً، من الذكور أو الإناث على حدٌ سواء.

مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾

## شرح الكلمات :

ازواجكم : الأزواج هنا الزوجات.

ولد : المراد هنا بالولد ابن الصلب ذكراً كان أو أنثى وولد الولد مثله.

الربع : واحد من أربعة.

كَلالَة [1] : الكلالة أن يهلك هالك ولا يترك ولداً ولا والداً ويرثه إخوته لأمه.

له أخ [2] أو أخت : أي من الأم.

غير مضار : بهما - أي الوصية والدين - احداً من الورثة.

حليم : لا يعاجل بالعقوبة على المعصية.

## معنى الآية الكريمة :

كانت الآية قبل هذه في بيان الوراثة بالنسب وجاءت هذه في بيان الوراثة بالمصاهرة والوارثون بالمصاهرة الزوج والزوجات قال تعالى: ولكم نصف ما ترك أزواجكم فمن ماتت وتركت مالاً ولم تترك وَلَداً ولا وَلَدَ ولدٍ ذكراً كان أو أنثى فإن لزوجها من تركتها النصف، وإن تركت ولداً او ولد ولد ذكراً كان أو أنثى فإن لزوجها من تركتها الربع لا غير لقول الله تعالى ﴿فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن﴾. وهذا من بعد سداد الدين ان كان على الهالكة دين، وبعد اخراج الوصية إن أوصت الهالكة بشيء، لقوله تعالى ﴿من بعد وصية يوصين

(١) من يكلّله النسب إذا أحاط به وبه سمي الإكليل لاحاطته بالرأس وسمي القرابة كلالة لإحاطتهم بالميت من جوانبه وليسوا منه ولا هو منهم.

(٢) أخ: أصله أخو بدليل تثنيته على أخوين نصباً وجراً وأخوان رفعاً.

بها أو دين﴾ . هذا ميراث الزوج أما ميراث الزوجة من زوجها فهو الربع إن لم يترك الزوج ولداً ولا ولد ولد ذكراً كان أو أنثى فان ترك ولداًاوولد ولد فللزوجة الثمن، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ولهن الربع مما تركتكم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ . هذا وان كان للزوج الهالك زوجتان أو أكثر فإنهن يشتركن في الربع بالتساوي إن لم يكن للهالك ولد، وان كان له ولد فلهن الثمن يشتركن فيه بالتسـاوى وقـوله تعالى وان كان رجلٌ يورث كلالة أو امرأة اى تورث كلالة أيضاً، والموروث كلالة وهو من ليس له والد ولا ولد، وإنما يرثه إخوته لأمه كما في هذه الآية أو إخوته لأبيه وأمه كما في آية الكلالة في آخر هذه السورة، فإن كان له أخ من أمه فله السدس وكذا إن كانت له أخت فلها السدس، وإن كانوا اثنين فأكثر فلهم الثلث[1] لقوله تعالى: وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة، ولَه أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس، فإن كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وَصيّة[2] يُوصى بها او دين غير مضار،[3] بأن يوصى بأكثر من الثلث، أو يقر بدين وليس عليه دين وانما حسدا للورثة أو بغضا لهم لا غير، فإن تبين ذلك فلا تنفذ الوصية ولا يسدد الدين وتقسم التركة كلها على الورثة، وقوله تعالى: وصّية من الله أى وصاكم أيها المؤمنون بهذا وصيّة فهى جديرة بالاحترام والامتثال. والله عليم بنياتكم وأحـوالكم ومـا يضركم وما ينفعكم فسلموا له قسمته واطيعوه فيها وهو حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا يغركم حلمه ان بطشه شديد وعذابه أليم.

## هداية الآية

**من هداية الآيـة :**

١- بيان ميراث الزوج من زوجته، والزوجة والزوجات من زوجهن.

٢- بيان ميراث الكلالة وهو من لايترك والداً ولا ولداً فيرثه إخوته[4] فقط يحوطون به إحاطة

---

(١) وهنا ما يعرف بالحجرية أو الحمارية أو المشتركة وهي أن تموت امرأة وتترك زوجها وأمها وإخوة لأمها وأخاً لأبيها وأمها، فللزوج النصف وللأم السدس والباقي للإخوة لأم، ولا شيء للأخ لأب أو لهما معاً. وسميت بالحمارية، لأنهم لمّا منعوا قالوا للقاضي بينهم: هب أبانا حماراً أليست أمنا واحدة، وقالوا: هب أبانا حجراً أليست أمنا واحدة وطالبوا بتشريكهم في الإرث فسميت المشتركة.

(٢) ذكرت الوصية قبل الدّين والإجماع على تقديم الدّين على الوصية لحكم رسول الله ﷺ بذلك وقيل في السرّ في ذلك أن تقديم الوصية في اللفظ كان بسبب أنه لا يوجد من يطالب بها فقد تنسى، وأمّا الدّين فأهله يطالبون به فلا ينسى ولا يترك.

(٣) مضارّ: اسم فاعل أي مضارر فأدغمت الراء في الراء فصارت مضارّ. أي حال كون الموصي غير مريد الإضرار بالورثة.

(٤) أي لأمه ولهذا خالف اخوة الأم الورثة في ثلاث مسائل: الأولى أنهم يرثون مع من يدلون به وهو أمهم والثانية إن ذكورهم وإناثهم في الميراث سواء والثالثة أنهم لا يرثون إلاّ إذا كان ميتهم يورث كلالة.

الإكليل بالرأس فلذا سُمِيّت الكلالة.

٣ـ إهمال الوصيّة أو الدين ان علم إن الغرض منها الإضرار بالورثة فقط.

٤ـ عظم شأن المواريث فيجب معرفة ذلك وتنفيذه كما وصى الله تعالى.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

## شرح الكلمات:

**تلك حدود[١] الله** : تلك اسم إشارة أشير به الى سائر ما تقدم من أحكام النكاح وكفالة اليتامى وتحريم أكل مال اليتيم، وقسمة التركات. وحدود الله هى ما حده لنا وبينه من طاعته وحرم علينا الخروج عنه والتعدى له.

**الفوز العظيم** : هو النجاة من النار ودخول الجنة.

**العذاب المهين** : ما كان فيه اهانة للمعذب بالتقريع والتوبيخ ونحو ذلك.

## معنى الآيتين:

لما بين تعالى ما شاء من احكام الشرع وحدود الدين أشار الى ذلك بقوله: تلك[٢] حدود الله قد بينتها لكم وأمرتكم بالتزامها، ومن يطع الله ورسوله فيها وفى غيرها من الشرائع والأحكام فجزاؤه أنه يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار، أنهار العسل واللبن والخمر والماء، وهذا هو الفوز العظيم حيث نجاه من النار وأدخله الجنة يخلد فيها أبدا. ومن يعص الله تعالى ورسوله بتعد تلك الحدود وغيرها من الشرائع والأحكام ومات على ذلك فجزاؤه أن

---

(١) الحدود جمع حد وهو ظرف مكان يميزّ عن مكان آخر يمنع تجاوزه هذا هو الحد لغة وشرعاً: ما منع الله تجاوزه مما أحل إلى ما حرّم، فأحكام الشرع هي حدوده.

(٢) يرى بعضهم أنّ الإشارة لأقرب مذكور وهو قسمة المواريث، وما فسرنا به أولى لأنّه أعم يشمل كل ما تقدّم من أحكام الشريعة.

يدخله ناراً يخلد فيها[1] وله عذاب مهين. والعياذ بالله من عذابه وشر عقابه.

**هداية الآيتين**

**من هداية الآيتين:**

١ـ بيان حرمة تعدي حدود الله تعالى.

٢ـ بيان ثواب طاعة الله ورسوله وهو الخلود في الجنة.

٣ـ بيان جزاء معصية الله ورسوله وهو الخلود في[2] النار والعذاب المهين فيها.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾

(١) إن أريد بالعصيان هنا الكفر فالخلود على بابه، وإن أريد به الكبائر فالخلود مستعار لمدّة ما كقولنا خلد الله ملكك وكقول زهير: ولا أرى خالداً إلّا الجبال الرّواسيا.

(٢) هذا الخلود لمن كانت معصيته مكفرة له أمّا من لم يكفر بمعصيته فإنه لا يخلد في النار بل يخرج منها بإيمانه كما بيّنت ذلك السنة الصحيحة.

## شرح الكلمات :

اللاتى[1] : جمع التى اسم موصول للمؤنث المفرد واللاتى للجمع المؤنث.

الفاحشة[2] : المراد بها هنا الزنى.

من نسائكم : المحصنات[3]

سبيلا : طريقا للخروج من سجن البيوت.

يأتيانها : الضمير عائد إلى الفاحشة المتقدم ذكرها.

فأعرضوا عنهما : اتركوا أذيتهما بعد أن ظهرت توبتهما.

التوبة : أصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على فعل القبيح مع تركه، والعزم على عدم العودة إليه.

السوء : كل ما أساء إلى النفس والمراد به هنا السيئات.

بجهالة : لا مع العمد والإصرار وعدم المبالاة.

اعتدنا : أعددنا وهيأنا.

أليما : موجعاً شديد الإيجاع.

## معنى الآيات :

لما ذكر تعالى بحدوده وذكر جزاء متعديها، ذكر هنا معصية من معاصيه وهى فاحشة الزنى، ووضع لها حداً وهى الحبس فى البيوت حتى الموت او الى ان ينزل حكما آخر يخرجهن من الحبس وهذا بالنسبة الى المحصنات. فقال تعالى ﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم[4]﴾ أى من المسلمين يشهدون بأن فلانة زنت بفلان

---

(١) ومثل اللاتي: اللائي وجمع اللاتي: اللواتي وجمع اللائي اللوائي.

(٢) سمي الزنا فاحشة: لأنه تجاوز الحد في الفساد، إذ به يفسد الخلق والعرض والنسب والدين والمجتمع وكفى بهذا فساداً عظيماً.

(٣) النساء: اسم جمع واحده من غير لفظه «امرأة» والمحصنات جمع محصنة وهي التي تزوجت زواجاً شرعياً، وسواء بقيت عليه أو تأيمت بموت أو طلاق.

(٤) منكم: أي من المسلمين إذ لابد من أربعة شهود من المسلمين يشهدون بأنهم رأوا الفرج في الفرج مثل الميل في المكحلة لحديث أبي داود عن جابر قال: «جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زنيا فقال رسول الله ﷺ ائتوني بأعلم رجل منكم فأتوه بابني صوريا فنشدهما كيف تجدان أمر هذين في التوراة قالا نجد في التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجما، قال: فما يمنعكما أن ترجموهما؟ قالا: ذهب سلطاننا فكرهنا القتل، فدعا الرسول ﷺ الشهود فحضروا وشهدوا فأمر برجمهما فرجما».

فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن[1] الموت أو يجعل الله لهن سبيلا. أما غير المحصنات وهن الأبكار فقد قال تعالى فى شأنهن، واللذان يأتيانها منكم فآذوها أى بالضرب الخفيف والتقريع والعتاب، مع الحبس للنساء أما الرجال فلا يحبسون وانما يكتفى بأذاهم الى ان يتوبوا ويصلحوا فحينئذ يعفى عنهم ويكف عن أذيتهم هذا معنى قوله تعالى ﴿واللذان[2] يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما﴾.

ولم يمض على هذين الحدين الا القليل من الزمن حتى أنجز الرحمن ما وعد وجعل لهن سبيلاً فقد صح أنه ﷺ كان جالساً بين أصحابه حتى أنزل الله تعالى عليه الحكم النهائى فى جريمة الزنى فقال ﷺ: خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام. والمراد من الثيب بالثيب اى إذا زنى ثيب بثيب وكذا البكر بالبكر. وبهذا اوقف الحد الأول فى النساء والرجال معاً ومضى الثانى أما جلد البكرين فقد نزل فيه آية النور: ﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾، وأما رجم المحصنين فقد مضت فيه السنة فقد رجم ماعز، والغامدية بأمر رسول الله ﷺ وهو حد قائم الى يوم القيامة. هذا ما دلت عليه الأيتان الأولى (١٥) والثانية (١٦) وأما الأيتان بعدهما وهما (١٧) (١٨) فقد أخبر تعالى أن الذين يستحقون التوبة وثبتت لهم من الله تعالى هم المذنبون الذين يرتكبون المعصية بسبب جهالة منهم، ثم يتوبون من قريب لا يسوفون التوبة ولا يؤخرونها أما الذين يجترحون السيآت مع علم منهم وإصرار، ولا يتوبون إثر غشيان الذنب فلا توبة تضمن لهم فقد يموتون بلا توبة شأنهم شأن الذين يعملون السيئآت ولا يتوبون حتى إذا مرض احدهم وظهرت عليه علامات الموت وأيقن إنه ميت لا محالة قال انه تائب كشأن الكافرين اذا تابوا عند معاينة[3] الموت فلا تقبل

---

(١) يتوفاهن: يتقاضاهن، يقال توفى فلان حقه من فلان بمعنى استوفاه أي أخذه كاملا لم يبق منه شيئاً ولمّا كان العمر أياماً تمر يوماً بعد يوم حتى ينقضي العمر ويموت الإنسان قيل في الموت الوفاة ويقال توفى فلان لأنّ أيامه أخذت يوماً فيوماً حتى انقضت على طريقة تسديد الدّين جزءاً فجزءاً حتى كمل قال الشاعر:

إذ ما تقاضى المرء يوم وليلة    تقاضاه شيى لا يملّ التقاضيا

(٢) المراد من هذا انّ الإمساك للمرأة الزانية دون الرجل لأن الرجل يعمل فلا يحبس فلذا غلب جانب النساء في قوله ﴿واللاتي يأتين الفاحشة..﴾ وغلّب الرجل على المرأة في قوله: ﴿واللّذان يأتيانها منكم﴾ لأن الأذى صالح للمرأة والرجل معاً وهو عبارة عن السبّ والجفاء والتوبيخ باللّسان لاغير.

(٣) وعليه فقوله تعالى: ﴿ولا الذين يموتون وهم كفّار﴾ ليس على ظاهره، وإنّما معناه يشرفون على الموت ومن أشرف على الموت، وحضره فحكمه حكم من مات وهو سائغ في اللّغة.

منهم توبة أبداً. هذا معنى الآيتين الكريمتين الأولى ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم﴾ أى يقبل توبتهم لأنه عليم بضعف عباده حكيم يضع كل شيء فى موضعه اللائق به ومن ذلك قبول توبة من عصوه بجهالة لا بعناد ومكابرة وتحد، ثم تابوا من قريب لم يطيلوا مدة[1] المعاصى والثانية ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن﴾، كما هى ليست للذين يعيشون على الكفر فإذا جاء أحدهم الموت قال تبت كفرعون فإنه لما عاين الموت بالغرق قال آمنت انه لا إله الا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين فرد الله تعالى عليه: ﴿الآن وقد عصيت وكنت من المفسدين﴾. وقوله تعالى ﴿أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما﴾ إشارة الى كل من مات على غير توبة بارتكابه كبائر الذنوب، أو بكفر وشرك، الا أن المؤمن الموحد يخرج من النار بإيمانه، والكافر يخلد فيها. نعوذ بالله من النار وحال أهلها.

## هداية الآيات

**من هداية الآيات :**

١ـ عظم قبح فاحشة الزنى.

٢ـ بيان حد الزنى قبل نسخه بآية سورة النور، وحكم الرسول ﷺ فى رجم المحصن والمحصنة.

٣ـ التوبة التى تفضل الله بها هي ما كان صاحبها أتى ما أتى من الذنوب بجهالة لا بعلم وإصرار ثم تاب من قريب زمن.

٤ـ الذين يسوفون التوبة ويؤخرونها يخشى عليهم أن لا يتوبوا حتى يدركهم الموت وهم على ذلك فيكونون من أهل النار، وقد يتوب أحدهم، لكن بندرة وقلة وتقبل توبته اذا لم يعاين امارات الموت لقول الرسول ﷺ «ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» رواه الترمذى وأحمد وغيرهما واسناده حسن.

٥ـ لا تقبل توبة من حشرجت نفسه وظهرت عليه علامات الموت، وكذا الكافر من باب أولى لا تقبل له توبة بالإيمان اذا عاين علامات الموت كما لم تقبل توبة فرعون.

(١) لأنّ سنة الله تعالي أنّ المرء إذا ادمن على معصية بطول فعلها يشربها قلبه فتحسن في نظره وتجمل في طبعه، فلا يقوى على تركها، وليس أدل على ذلك من فاحشة اللواط، فهي من أقبح الفواحش ومع هذا مَنْ زينت له لا يقدر على تركها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا (١٩) وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا (٢٠) وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا (٢١)

شرح الكلمات :

| | |
|---|---|
| كرهــــا | : بدون رضاهن . |
| العضـــل | : المنع بشدة كأنه امساك بالعضلات أو من العضلات . |
| ببعض ما آتيتموهن | : أى من المهور . |
| الفاحشــة | : الخصلة القبيحة الشديدة القبح كالزنى . |
| مبيّنـــة[1] | : ظاهرة واضحة ليست مجرد تهمة أو مقالة سوء . |
| المــعروف[2] | : ما عرفه الشرع واجبا أو مندوبا أو مباحا . |
| قنطـــارا | : اى من الذهب أو الفضة مهرا وصداقا . |

(١) قرئت مبيَّنة بفتح الياء وقرئت بكسرها مبيِّنة وقرأ ابن عباس مبينة بكسر الباء اسم فاعل من أبان يبين فهو مبين وهي مبينة والمعنى واحد.

(٢) من المعاشرة بالمعروف: أن لا يعبِّس في وجهها بغير ذنب وأن يكون منطلقاً في القول، لا فظاً ولا غليظاً، ولا مظهراً ميلاً إلى غيرها.

بهتانا وإثـما : أى كذبا وافتراء، واثما حراما لا شك فى حرمته لأنه ظلم.

افضى بعضكم الى بعض : اى خلص الزوج الى عورة زوجته والزوجة كذلك.

ميثاقا غليظ : هو العقد وقول الزوج: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

**معنى الآيـات :**

تضمنت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾[1] ابطال ما كان شائعا بين الناس قبل الاسلام من الظلم اللاحق بالنساء فقد كان الرجل إذا مات والده على زوجته ورثها أكبر اولاده من غيرها فان شاء زوجها وأخذ مهرها وان شاء استبقاها حتى تعطيه ما يطلب منها من مال فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها﴾، فبطل ذلك الحكم الجاهلى بهذه الآية الكريمة وأصبحت المرأة إذا مات زوجها اعتدت فى بيت زوجها فاذا انقضت عدتها ذهبت حيث شاءت ولها مالها وما ورثته من زوجهـا أيضا وقوله تعالى: ﴿ولا تعضلوهن[2] لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفـاحشـة مبيّنـة﴾. فهذا حكم آخر وهو أنه يحرم على الزوج إذا كره[3] زوجته أن يضايقها ويضارها حتى تفتدى منه ببعض مهرها، اذ من معانى العضل المضايقة والمضارة، هذا ما لم ترتكب الزوجة فاحشة الزنى، او تترفع عن الزوج وتتمرد عليه وتبخسه حقه فى الطاعة والمعاشرة بالمعروف أما إن أتت بفاحشة مبينة لاشك فيها او نشزت نشوزاً بينا فحينئذ للزوج أن يضايقها حتى تفتدى منه بمهرها او بأكثر حتى يطلقها، وذلك لقوله تعالى: ﴿إلا ان يأتين بفاحشة مبينة﴾، ثم أمر تعالى عباده المؤمنين بمعاشرة الزوجات بالمعروف وهو العدل والاحسان، فقال: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾، وان فرض ان أحدا منكم كره زوجته وهى لم تأت بفاحشة مبينة فليصبر عليها ولا يطلقها فلعل الله تعالى يجعل فى بقائها فى عصمته خيراً كثيرا له نتيجة الصبر عليها وتقوى الله تعالى فيها وفى غيرها، فقد يرزق منها ولدا ينفعه، وقد يذهب من نفسه ذلك الكره ويحل محله الحب والمودة. والمراد أن الله تعالى ارشد المؤمن

---

(١) روى البخاري في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاء زوّجوها وإن لم يشاؤوا لم يزوّجوها فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم. . .﴾ الخ.

(٢) جائز أن يكون فعل ﴿وتعضلوهن﴾ في محل نصب على تقدير ولا أن تعضلوهن، كما هي قراءة ابن مسعود وجائز أن يكون في محل جزم على أنّ لا: ناهية.

(٣) كرها لدمامة أو سوء خلق أو سلاطة لسان فليصبر على ذلك فإنّ الرسول ﷺ قال: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر» رواه مسلم.

ان كره زوجته ان يصبر ولا يطلق لما فى ذلك من العاقبة الحسنة، لأن الطلاق بغير موجب غير صالح ولا مرغوب للشارع وكم من أمر يكرهه العبد ويصبر عليه فيجعل الله تعالى فيه الخير الكثير. هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٩) أما الآيتان بعدها فقد تضمنتا: تحريم أخذ شىء من مهر المرأة إذا طلقها الزوج لا لاتيانها بفاحشة ولا لنشوزها، ولكن لرغبة منه فى طلاقها ليتزوج غيرها فى هذه الحال لا يحل له أن يضارها لتفتدى منه بشىء ولو قل، ولو كان قد أمهرها قنطاراً فلا يحل أن يأخذ منه فلسا فضلا عن دينار أو درهم هذا معنى قوله تعالى: ﴿وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً[1] فلا تأخذوا منه شيئا﴾، أتأخذونه بهتاناً أى ظلما بغير حق وكذباً وافتراء وإثما مبينا أى ذنبا عظيما، ثم قال تعالى منكراً على من يفعل ذلك: وكيف تأخذونه أى بأى وجه يحل لكم ذلك، والحال أنه قد افضى[2] بعضكم إلى بعض أى بالجماع، اذ ما استحل الزوج فرجها الا بذلك المهر فكيف اذا يسترده أو شيئا منه بهتانا وإثما مبينا، فقال تعالى: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض﴾؟ وقوله تعالى وأخذن منكم ميثاقا غليظا يعنى عقد النكاح فهو عهد مؤكد يقول الزوج نكحتها على مبدأ: إمساك بمعروف أو تسريح باحسان، فأين التسريح بإحسان إذا كان يضايقها حتى تتنازل له عن مهرها أو عن شيء منه، هذا ما أنكره تعالى بقوله وكيف تأخذونه إذ هو استفهام إنكارى.[3]

### هداية الآيات :

**من هداية الآيات :**

١ـ إبطال قانون الجاهلية القائم على ان ابن الزوج يرث امرأة أبيه.

٢ـ حرمة العضل من أجل الافتداء بالمهر وغيره.

٣ـ الترغيب فى الصبر.

---

(١) روى أصحاب السنن وصححه الترمذي أن عمر بن الخطاب كان يخطب فقال الا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله، ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية، فقامت إليه امرأة فقالت يا عمر: أيعطينا الله وتحرمنا، أليس الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا﴾؟ قال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

(٢) اختلف في الإفضاء الذي يجب به المهر قال عمر: إن أغلق باباً وأرخى ستراً ورأى عورة فقد وجب الصداق وعليها العدّة ولها الميراث وهو قول فصل، أمّا الإفضاء الذي تحل به المطلقة ثلاثاً فلابد من الوطء لحديث: «حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» والإفضاء في هذه الآية الجماع أيضاً قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) نعم إنكاري وفيه معنى التعجب أيضاً لأنه أمر مستنكر ومتعجب منه لفظاعته وخروجه عن اللّياقة والأدب.

٤ـ جواز أخذ الفدية من الزوجة بالمهر أو أكثر أو أقل إن هى أتت بفاحشة ظاهرة لا شك فيها كالزنى أو النشوز.

٥ـ جواز غلاء المهر فقد يبلغ القنطار[1] غير أن التيسير فيه أكثر بركة.

٦ـ وجوب مراعاة العهود والوفاء بها.

وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

**شرح الكلمات :**

**ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم** : لا تتزوجوا امرأة الأب أو الجد.

**إلا ما قد سلف** : إلا ما قد مضى قبل هذا التحريم.

---

(١) لا خلاف في أنّ أكثر الصداق لا حدّ له وإنّما الخلاف في أقله، والذي عليه أكثر أهل العلم أنّه لا يقل عن ربع دينار أو ما يعادله دراهم قياساً على ما تقطع فيه يد السارق، لأنّ الفرج محرّم كاليد.

إنه كان فاحشــة : أى زواج نساء الأباء فاحشة شديدة القبح .

مقتــا[1] : ممقوتاً مبغوضا للشارع ولكل ذى فطرة سليمة .

وساء سـبيلا : أي قبح نكاح أزواج الآباء طريقا يسلك .

أمهاتكــم : جمع[2] أم فالأم محرمة ومثلها الجدة وإن علت .

وربائبــكم : الربائب جمع ربيبة هى بنت الزوجة .

وحلائل ابنائكم : الحلائل[3] جمع حليلة وهى امرأة الابن من الصلب .

**معنى الآيتين :**

ما زال السياق الكريم فى بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالارث والنكاح وعشرة النساء . وفي هاتين الآيتين ذكر تعالى محرمات النكاح من النسب، والرضاع والمصاهرة فبدأ بتحريم امرأة الأب وان علا فقال: ﴿ولا تنكحوا[4] ما نكح آباؤكم﴾، ولم يقل من ليشمل التحريم منكوحة الأب والطريقة التى كانت متبعة عندهم فى الجاهلية. ولذا قال الا ما قد سلف فى الجاهلية فانه معفو عنه بالاسلام بعد التخلى عنه وعدم المقام عليه، وبهذه اللفظ حرمت امرأة الأب والجد على الابن وابن الابن ولو لم يدخل بها الأب ثم ذكر محرمات النسب فذكر الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الأخ، وبنات الأخت فهؤلاء سبع محرمـات من النسب[5] قال تعـالى: ﴿حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت﴾ ثم ذكر المحرمات بالرضاع فقال ﴿وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وإخـواتكم من الـرضـاعة﴾ فمن رضع من امرأة خمس[6] رضعات وهو فى سن الحولين تحرم عليه ويحرم عليه امهاتها وبناتها واخواتها وكذا بنات زوجها واخواته وامهاته حتى

---

(١) سئل ابن الأعرابي عن نكاح المقت فقال هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه، إذا طلقها أو مات عنها ويقال لمن تزوّج أمرأة أبيه: الضيزن.

(٢) الصواب جمع أمّهة، إذ الأم تجمع على أمات وقلّ من يقول به، والآية نصّ في تحريم كل انثى لها على الرجل ولادة فتدخل الأم فيه وأمّها وجدّاتها.

(٣) سميت امرأة الابن حليلة لأنها تحلّ معه حيث حلّ فهي فعيلة بمعنى فاعلة، وقيل سميت حليلة لأنها محلّلة له.

(٤) روي أن أبا قيس توفى وكان من صالحي الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت له: إنّي أعُدّك ولداً ولكني آتي رسول الله ﷺ فأستأمره فأتته فأخبرته فانزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء..﴾.

(٥) وحرّم بالسنة المتواترة الجمع بين المرأة وعمتها. والمرأة وخالتها.

(٦) خالف مالك رحمه الله تعالى ومَنْ وافقه فقالوا: لا فرق بين قليل الرضاع وكثيره، إذا وصل اللّبن إلى الأمعاء ولو مصّة واحدة مع أنّ الرسول ﷺ قال: «لا تحرم المصة ولا المصتان» رواه مسلم.

قيل يحرم[1] من الـرضاعة ما يحرم من النسب، ثم دسر سعالى المحرمات بالمصاهرة فقال: وامهات نسائكم فأم امرأة الرجل محرمة عليه بمجرد ان يعقد على بنتها تصبح أمها حراما. وقال وربائبكم التى فى حجوركم فالربيبة هى بنت الزوجة اذا نكح الرجل امرأة وبنى بها لا يحل له الزواج من ابنتها أما إذا عقد فقط ولم يبن فان البنت تحل له لقوله: من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم أى لا إثم ولا حرج.[2]

ومن المحرمات بالمصاهرة امرأة الابن بنى بها ام لم يبن لقوله تعالى: وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم أى ليس ابناً بالتبنى، اما الإبن من الرضاع فزوجته كزوجة الابن من الصلب، لأن اللبن الذى تغذى به هو السبب فكان اذاً كالولد للصلب، ومن المحرمات بالمصـاهرة أيضا أخت الزوجة فمن تزوج امرأة لا يحل له أن يتزوج أختها حتى تموت او يفارقها وتنتهى عدتها لقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف فى الجاهلية فانه عفو بشرط عدم الإقامة عليه.

## هداية الآيتين

**من هداية الآيـتين :**

١ـ تحريم مناكح الجاهلية الا ما وافق الإسلام منها، وخاصة أزواج الآباء فزوجة الأب محرمة على الابن ولو لم يدخل بها الأب وطلقها او مات عنها.

٢ـ بيان المحرمات من النسب وهن سبع الأمهات والبنات والاخوات، والعمات والخالات وبنات الأخ وبنت الأخت.

٣ـ بيان المحرمات من الرضاع وهن المحرمات من النسب فالرضيع يحرم عليه[3] امه المرضع له وبناتها وأخواتها وعماته وخالاته، وبنات أخيه وبنات أخته.

٤ـ بيان المحرمات من المصاهرة وهن سبع أيضا: زوجة الأب بنى بها أو لم يبن، أم امرأته بنى بابنتها أو لم يبن، وبنت امرأته وهى الربيبة اذا دخل بأمها، وامرأة الولد من الصلب

---

(١) القائل هو الرسول ﷺ والحديث متفق عليه.

(٢) ولحديث الصحيحين: «إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها دخل بالبنت أو لم يدخل، وإذا تزوّج الأم فلم يدخل بها ثم طلقها فإن شاء تزوج البنت».

(٣) هذا إذا كان الرضاع في الحولين أمّا بعدهما فلا يحرم إجماعاً.

بنى بها الولد أو لم يبن[1]، وكذا ابنه من الرضاع[2]، وأخت امرأته ما دامت اختها تحته لم يفارقها بطلاق أو وفـاة. والمحصنات[3] من النساء أى المتزوجات قبل طلاقهن أو وفاة أزواجهن وانقضاء عددهن.

(١) حكى القرطبي الإجماع على أنّ الرجل إذا وطيء امرأة بنكاح فاسد أنها تحرم على أبيه وعلى ابنه وعلى أجداده وأحفاده.
(٢) فى عد المحصنات من المحرمات بالصهر تجوزاً.
(٣) لحديث: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» وهو دليل الجمهور على أنّ امرأة الابن من الرضاع تحرم كما تحرم امرأة الابن من الصلب.